تهافت الأكاديمية

وبحوث أخرى

فى التنوير الإسلامى

تأليف

ماجد صلاح الدين حسن

دار الفكر الإسلامى
١٩٥ شارع الجيش - ١١٢٧١
تليفون وفاكس ٥٩٣٦٤٩٤ - القاهرة

تهافت الأكاديمية

وبحوث أخرى فى التنوير الإسلامى

تأليف

ماجد صلاح الدين حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تشكل مجموعة البحوث التنويرية التى بين يدى القارىء مختارات من شتى البقاع التى تكونها أرضية الدراسات الإسلامية الرحبة .. والتنوير الإسلامى هو الخيط الجامع لشتات هذه البحوث المتتالية فى هذا الكتاب .

فالتنوير الإسلامى هو الشعاع الذى نأمل - نحن المفكرين المستنرين - فى أن يضىء ظلام الليل البهيم الذى تحياه الأمة الإسلامية منذ أحقاب آزلة .. وهو - أى هذا التنوير - الأمل الباقى فى نهضة هذه الأمة الغافلة عن الذكر العظيم .

أول هذه البحوث وأهمها وأخطرها بحث « تهافت الأكاديمية : دراسة موجزة فى بيان القيمة الحقيقية للتقاليد والطقوسيات الجامعية » ، وهو الأول من نوعه فى تاريخ الكتابة العربية - وربما غيرها - من حيث الجانب النظرى .. وقد عممنا الحديث طوال البحث ولم نضرب الأمثلة الموثقة - رغم توفرها - على كل جزئية من جزئيات البحث لأسباب عديدة قد يلمحها القارىء ، ولا نحبذ الإفصاح عنها .

والبحث التالى عن « الإجماع : دراسة أصولية » ، وهى أول

دراسة تكشف القيم الحقيقية للإجماع الذى تحدث عنه الفقهاء والأصوليون .

وكذلك اتسمت البحوث الثالث والرابع والخامس والسادس بجدة الزاوية التى تنطلق منها الرؤية الدراسية .

أما البحث السابع ، وهو قراءة فى كتاب « عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى » للسيد مرتضى العسكرى ، فهو يعرض لكتاب من أخطر كتب النقد التاريخى التطبيقى .

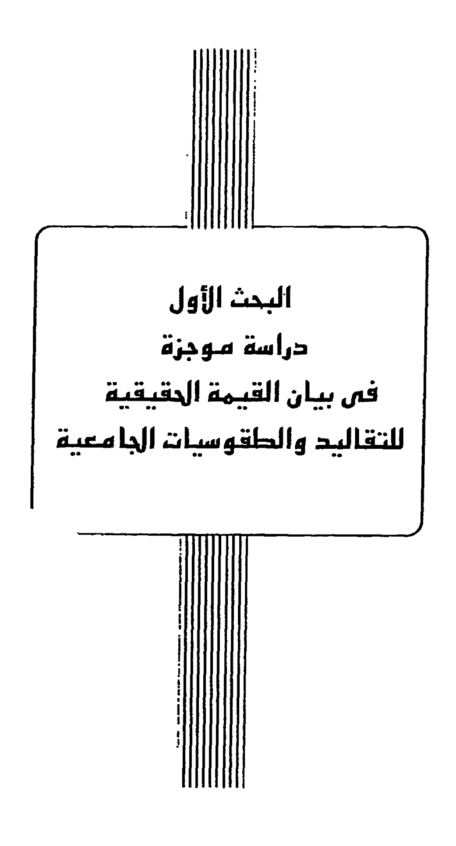
والبحث الثامن ، وهو عبارة عن رؤية جديدة لعذاب القبر ، نكشف فيه عن فتوى مذهلة بخصوص عذاب القبر أصدرها الشيخ الشعراوى عام ١٩٨٢ م ولم ينتبه إليها أحد من الباحثين السابقين .

والبحث التاسع عبارة عن رسالة جليلة الفائدة عن الإعجاز العددى للقرآن ، وضمناها اكتشافات جديدة عثرنا عليها بفضل الله ، وهى فى إعجاز الأحرف النورانية ، وهذا الإعجاز فرع عن الإعجاز العددى لقرآننا العظيم .

هذا .. ولم نلتزم فى هذه البحوث المنهاج الأكاديمى الجاف الذى يحصر نطاق القراءة فى القلة القليلة ممن يطلق عليهم المتخصصون ؛ فالمعالجة جديدة والتناول جديد .. فهى بحوث فى التنوير الإسلامى .

ماجد صلاح الدين حسن

١٩٩٩/٧/١١



البحث الأول

دراسة موجزة

فى بيان القيمة الحقيقية

للتقاليد والطقوسيات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

تهافت الأكاديمية

مقدمــة

يتردد مصطلح « الأكاديمية » كثيراً في الأوساط العلميـة والثقافية ، ويتخذه « المتخصصون » المنهج الرئيس في البحث العلمي والدراسة العلمية ، و« رمزاً » يضفي عليهم انفراداً علياً بحق إصدار الفتـــاوى العلميـــة ، وحق توجيـه « العامة » وغير « المتخصصين » نحو « الصواب » ، والتحكم في اتجاهاتهم وآرائهم ومصائر حياتهم ، ووعظهم للتوجه نحو « الحرم » الجامعي والالتفاف والدوران حوله .. وفي هذا البحث الموجز سنعرض معنى هذا المصطلح وآلياته وقسماته ونبين تهافت محتواه وضحالة مبادئه . رغم صورته المهيبة لدى العامة والخاصة على السواء .

لقد كان هذا البحث في أول أمره مقالاً صغير الحجم أردت نشره في إحدى المجلات ، لكنهم – للأسف الشديد – اعتذروا عن نشره بحجة عدم منهجيته وعدم أكاديميته !! رغم أنه نقد للأكاديمية (!!!) لكن الأمر على الأرجح والأوضح كان خوفاً من بطش المنشغلين بالأكاديمية والمشتغلين بخرافاتها .. لكنني ظننت أن الأمر بالسهولة التي كانت في مخيلتي ؛ فإذا بي أفاجأ أن الصحف

والمجــــلات ترفض نشـره ، وبدهيــاً أن ذلك نابع من نفس الداء الذى عانيت منه أول أمـرى عند محـاولة نشر المقـــال ، فعرفت أن « الأكاديمية » ثعبــان سـام شـديد الخطر قد استحكم قبضته على الجـميع ، فـأثناء كـتابة هذه السطور لا أعـرف فى مصـر كلهـا من يعارض الأكاديمية غير الأستاذ جمـال البنا (١٩٢٠م – ٠٠٠٠) وكـاتب هذه السطور ، والأول ضـاق ذرعـاً بالأكـاديمـيـة فى بدايات حيـاته فـمـا كـان منه إلا أن طلقـهـا واسـتـقل بمشـروعـه الفكرى وبشـخصيته العلمية .. أما الثانى – وهو كاتب هذه السطور – كان – ولا يزال – يحب الاطـلاع والعلم والمعرفـة ، قد وجد فى مطالعاته ما ينفره من ذلك الداء العضال ، وكذلك كان الحال مع الكلية التى انتمى إليها وظل أربعة أعوام يعانى من جفاف المناهج التى تدرس فيـهـا وضـيق أساتذتها بالمناقشـة .. وفى السـابق جاهد العمـلاق العظيم عباس محمود العقـاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤م) فى سبيل نفس ما نعرضـه من آراء حتى رفض بإباء مـا يسـمى بالدكتوراه الفخرية حين منحت له .

وبعـد .. فـهـذه الدراسـة الموجـزة هى الأولى من نوعـهـا فى تعمقها فى الموضـوع وتأسيس معرفة له وإفراد خطاب خاص به ، ولم يبلغ مـعـرفـتى أحـد كـتب فى هذا الموضـوع الهـام ، والذى بمناقشته وفتح الحوار فيه تتضح مفاهيم كثيرة وتبين منارات ترشد إلى الحقيقة ، وتتمهد سبل جليلة تؤدى إلى نهضة هـائلة فى بلاد

العرب والمسلمين ، فسيؤثر هذا البحث فى وجدانات الكثيرين من أهل المعرفيات وسيدفعهم إلى مراجعة أنفسهم ، ثم يظهر فى مواجهة هؤلاء جماعة تتلحف بالجمود ترفض هذه النهضة وتحارب هذا التجديد ، وسينتصر أحد الفريقين على الآخر : سينتصر الجامدون إذا استطاع المستعمر بفضل إمكانياته المتطورة أن يبقى على الحضارة الغربية فى طريق النهضة ، وأن يحيط العالم العربى بجدار صلب من التخلف والجمود ، وإذا لعبت الأقدار دورها فى حدوث هذا الأمر ... وسينتصر المتحررون إذا استطاع المارد الشرقى أن ينهض من غفلته التى دامت القرون الطوال بفضل دعوات المصلحين الذين وهبوا حياتهم كلها - وأكرر كلها - فى سبيل هذا المبدأ الراقى ، فالحضارة لا تعطيك بعضها إلا إذا أعطيتها كلك وبعت من أجلها روحك وكل نفيس ، والله - وحده - الهادى إلى سبيل الرشاد .

التعريف

الأكاديمية Academy هى أقدم المدارس الفلسفية فى التاريخ .. أسسها أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) ، واتخذ مقرها بقرب حديقة بأثينا كانت تسمى أكاديما ، ومن ثم اشتهرت المدرسة باسم هذه الحديقة التى كانت تقربها .

درّس أفلاطون فى هذه المدرسة الرياضيات والفلسفة ، وكتب

على بابها : « من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا » ، واستمرت منذ تأسيسها سنة ٣٨٧ ق.م إلى أن أمر الإمبراطور جُستنيان بإغلاق المدارس الوثنية فى العالم الرومانى المسيحى عام ٥٢٩ ق.م. (١) .

لقد كان الهدف الأساسى لأفلاطون من تأسيس هذه المدرسة هو تكوين فئة من الفلاسفة الذين « يحتكرون » التخصصات لينشروا النظريات الاجتماعية والسياسية - التى وضعوها بمحض اجتهادهم الشخصى ولم يتلقوها بوحى من السماء - فى أنحاء بلاد اليونان (٢) .

الآليات والقسمات

تنصب تعاليم المدرسة الأكاديمية فى طقوسيات ، أهمها :

١ - العناية الفائقة بالشكليات على حساب المضامين ، بل قد نراهم لا يعتبرون أية قيمة للمضامين ، وفى هذا ضيق أفق وانشغال عن جوهر القضية ، وقد أثر هذا المبدأ على الأكاديميين ، فنراهم لا يحفظون غير أسماء الكتب ومؤلفيها ومكان الطبع وسنته وعدد الصفحات دون معرفة ما يحتويه الكتاب من معلومات ، ولقد لسنا هذا العيب بأنفسنا عند السواد الأعظم من الأكاديميين ، ولذلك فإننا نرده إلى التمسك بالشكليات وإهمال المضامين إما جزئياً وإما تماماً !!

٢ – الاستغراق فى التنظيـــر على حســـــاب « العمليـــة » و « التطبيقية » ، وبذلك خرجت المراجع الأكاديمية إلينا غاية فى جفاف السرد والعرض والأسلوب اللغوى ، وأحياناً الغموض ، كما رأينا فى كتابات الأدباء العرب الحداثيين ونقادهم الذين يملئون كتبهم بالطلاسم والتى لا يفهمها غيرهم ، هذا إذا كانت مفهومة من قبلهم ، والعجيب فى الأمر أن من يرفضون تلك الحداثة المقيتة يقولون إنهم حينما يقرأون النص الحداثى الغربى يفهمونه ،أما إذا قرأوا ترجمته العربية فإنهم لا يفهمونه تماماً !!

٣ – الجمود بالوقوف عند أشخاص معينين ومبادىء وأفكار معينة ، وعدم التطوير فيها أو التعديل من بعض أخطائها والبناء عليها ، وهذا نابع من الصبغة التقديسية التى يضفيها التلامذة على أساتذتهم الذين يأسرون بشخصيتهم عقول التلامذة ، ومن ثم ينقل التلامذة الأقزام صورة أساتذتهم الضخمة إلى من يليهم ويوصونهم بها خيراً ، ومن ثم يتقدم الغرب ويظل الشرق خاملاً مخدراً بأقوال « أشخاص » – وليس « إله » – أفكارهم وآراؤهم أسيرة واقعهم ونابعة منه ، ومناسبة – إن صحت – له !!

٤ – التقليد بإلغاء العقل واعتباره شيطاناً رجيماً يضل عن الصواب ، فالاقتداء بالقدماء – عند الأكاديميين – هو الصواب ، وبه تتحقق النجاة والوصول إلى بر الأمان !!

٥ – التفــرد بالتخصصـــات لدى من يســـمون أنفســـهم

بالمتخصصين ، وهم ينصون على قاعدة متهافتة ولا سند لها من عقل أو منطق تقول إنه لا يجوز أن يَرُدّ على الدكتور المتخصص إلا دكتور مثله ، وأحياناً يزيدون شرطاً أن يكون الدكتور الآخر من نفس التخصص ، وقد تناسوا - ولا أقول نسوا - أن وصول شخص ما إلى درجة الدكتوراة في مجال من المجالات غير دال على الإطلاق على جهل غير المتوصل إلي مثل تلك الدرجة الأكاديمية بهذا العلم الذى قد تخصص فيه الأول .. كيف وفى القديم لم يكن ثمة مصطلح يدعى الدكتوراة ولا الماجستير ولا الليسانس ؟ (!!!) .. كيف ونحن نجد المتخصص فى مجال من المجالات - غالباً - لا يعرف شيئاً إلا فى مجال رسالته الأكاديمية ؟ (!!!) .. كيف ونحن نعرف جميعاً أن هناك من يشترى مثل تلك الدرجة الأكاديمية بالمال أو بغيره ؟ (!!!) .. كيف وكل حامل لتلك الدرجة العلمية قد تخصص فى جزئية دقيقة من موضوع المعرفة التى يحمل فيها الشهادة الجامعية الصغيرة ؟ (!!!) .. وهل يشاركه أحد غيره فى مثل هذا التخصص الدقيق الذى حملت موضوعه رسالته الأكاديمية ؟ (!!!) .. إن مثل تلك الادعاءات الأكاديمية هى شعارات يرفعها المفلسون من الأكاديميين حتى يردوا من أراد مناقشتهم فى آرائهم ونظرياتهم ، وهكذا يتضح تمام الاتضاح أن من يروج لتلك القاعدة المتهافتة إنما هو مفلس ولا يعرف كيف يعرض بضاعته .. هذا إن كانت لديه بضاعة !!

٦ - إعلاء شأن « الشهادة » الأكاديمية على الخبرة ، فكثيراً ما نرى في مجتمعاتنا مؤسسات لا تقبل للعمل لديها إلا الحاصل على درجة (كيت) الأكاديمية أو شهادة (كيت) التخصصية ، وهكذا فإن حاملي الدرجات والشهادات يطغون على ذوي الخبرة ممن لم يتحصلوا على مثلها ، والسطور السابقة قد عرضت - والواقع يشهد - لضحالة الأكاديميين العلمية والمعرفية .

وهكذا تأخر الشرق بينما تقدم الغرب علمياً وخُلُقياً - وأكرر خُلُقياً - نتيجة لمراجعتهم أنفسهم وتطويرهم لأكاديمية أفلاطون وتصويبهم الكثير من أخطائها الكثيرة .

٧ - (**رأيك هو رأي أستاذك**) .. وتلك داهية عظيمة بليت بها الأوساط البحثية ، فالطالب في سنوات الجامعة وفي الدراسات العليا لا يستطيع أن يعرض رأيه في قضية ما ، فهو - كما يُعَلِّمُه أساتذته - مازال صغيراً جاهلاً لا يفرق كما يقول المثل الشعبي بين الألف وكوز الذرة ، وإذا عرض لرأيه فإن نظام الكون سيضطرب ، فالأساتذة والمعلمون هم الذين يتحكمون في هذا النظام ويديرونه بعلمهم غير المتناهي وتجردهم من الزلل (!!!)

ما هذا الإسفاف ؟! .. وما هذا الاستهتار بعقول البشر ؟! .. إن وضعاً كهذا - وهو السائد ، والواقع أيضاً يشهد أن ذلك الاستبداد بالنظريات (البالية في الأعم الأغلب) وفرض الرأي بالقوة - قد ولَّد لدى الباحثين أحقاداً دفينة تجاه أساتذتهم مما

يجعلهم يفرغونه في تلامذتهم .. وهكذا تتكرر المشاهد وعلى هذا المنوال تسير الأحداث وتتوالى .

لقد رأينا في زماننا هذا - في العالم العربي فقط - من دفعوا وظائفهم بالجامعة - وبعضهم دفع حياته - ثمناً لرأى متزن ذكروه فكان جزاؤهم النفي أو القتل .. وذلك كله لأنهم خرجوا على القاعدة الأكاديمية المقدسة التي تنص على أن (رأيك هو رأى أستاذك) .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مواطن الأكاديمية

تتركز الأكاديمية في ثلاث مناطق : الجامعات بكلياتها ومعاهدها ، والمجامع العلمية المعروفة بمجامع « الخالدين » (!!) ، ومراكز الدورات التدريبية .. والأخيرة هي الأرقى ، لذا فاعتراضاتنا عليها ليست بالدرجة التي تستحق الحديث .

ففي الجامعات يتخرج « المتخصصون » الذين انكبوا طوال فترة تعليمهم الأكاديمي يحفظون نظريات أساتذتهم وأسلافهم والتي ليست لها إسقاطات تطبيقية أو علمية دون أن يحيدوا عنها قدر شبر كما لو أنها صدرت عن أشخاص معصومين ألبسوا ثوب الكمال وشملتهم أرقى الخصال .. وبالتالي يعتبر كل من خرج عن مبادىء « السلف » والأساتذة ونظرياتهم خارجاً عن زمرة العلم و« التخصص » ومخالفاً لإجماع العلماء (٢) .

أما فى المجامع العلمية فتنفرد مجموعة من « العلماء !! » .. « المتخصصين !! » بإصدار الأحكام العلمية واحتكارها احتكاراً مطلقاً ، واعتبار « أقوالها » إجماعاً لا يجوز الخروج عليه ، وفى أغلب الأحيان تسمى تلك المجامع بمجامع الخالدين ، ولا يخفى على القارىء ماتثيره لفظة « الخالدين » من معانى القداسة والجلالة والعلو .

وبم أن المجامع العلمية مؤسسات أعلى مكاناً وأرقى مكانة من الجامعات فإن أعضائها يجرى اختيارهم من صفوة الأكاديميين الجامعيين ليكونوا أعضاء يصدرون الفتاوى الواجبة التنفيذ ، ويجرى اختيارهم بناء على عمق استغراقهم فى الأكاديمية والإخلاص لمبادئها ، وليس بناء على غزير العلم ووسيع المعرفة .

إن كل محايد يلاحظ بوضوح أن تلك الشروط الأكاديمية الرعناء نوع من الاستبداد الذي يفرضه الأكاديميون على أنفسهم فى مواجهة غيرهم من العلماء والمثقفين والباحثين الأحرار حتى يؤسسوا لأنفسهم سلطاناً عريضاً يعتلون فيه المناصب والكراسى التى ترفعهم وتعليهم عن العامة والسوقة والغوغاء فى نظرهم .

الأسلوب العلمى

من سلبيات الأكاديمية - فى الخطاب العربى خاصة - أنها تشترط انتهاج الباحث للأسلوب « العلمى » فى الصياغة اللغوية ،

وهو مقابل للأسلوب « الأدبي » ، وليست العلمية في نعت الأسلوب كما يتصور البعض هي التزام الموضوعة والحياد في عرض الرأي ، وإنما هو نعت لغوي ابتدعه الأكاديميون العرب ، ومعناه في اللغويات المعاصرة تخلي الكاتب عن الأغراض البلاغية في صياغة الكلمات والجمل ؛ الأمر الذي يؤدي إلى جفاف الأسلوب وجمود معانيه ، ومن ثم يتسرب الضرر إلى اللغة ، فالأسلوب « العلمي » في الكتابة إن كان يصلح في معظم لغات العالم ، فإنه لا يصلح في لغة العرب التي تتميز بسمة عامة ورئيسية تميز شخصيتها ألا وهي سمة « الأدبية » .

الإيجابيات

ليست كل المنظومة الأكاديمية سلبية المحتوى ، وإنما ثمة إيجابيات يمكن حصرها في أمرين :

الأمر الأول : التحقيق الدقيق ليس من جهة البرهان والحجة ، وإنما من جهة تخريجات المصادر والمراجع ، وذكر بياناتها كاملة .

الأمر الثاني : ونراه في بعض الأحيان ، وهو الحصر الشامل أو محاولته ، والسعي وراء تعداد وإحصاء الصفات أو الأنواع الكاملة لشيء ما ، كما نرى في البيبلوجرافيات الملحقة – أحياناً – بالرسائل العلمية .

هذان الأمران هما كل ما نراه من حسنات في « الأكاديمية » .. الأول ملازم دائماً ، والثاني عارض في بعض الأحيان .

أكاديمية الفقهاء

في مجال الفقه الإسلامي ظهر هذا التفرد والاحتكار في إصدار الفتاوى الدينية فيما عرف بالمؤسسة الدينية الرسمية ، وما عرف قديماً - ولا يزال - بالمذهب الفقهي أو مجموعة المذاهب الفقهية الأربعة التي يعد الاختلاف مع مجموعها خروجاً من الملة (٤) ، ومن ثم تحول الأمر إلى كهنوت يستبد بأحكامه الفقهاء والمحدثون من رجال المؤسسة الدينية الرسمية أو منافسوهم من رجال الجماعات المنشقة المناهضة للحكم والمعارضة للمؤسسة الدينية الرسمية .. فكل فريق يعتقد - والله أعلم أنابع هذا من قرارة نفسه أم لا - أن الحق معه وأن الصواب يتجلى في أقواله .

لقد شهد تاريخ الفكر الإسلامي حركات تحرر من أسر أكاديمية الفقهاء - إن صحت التسمية - فالأئمة الأربعة للفقه السني أبو حنيفة (٦٩٩م - ٧٦٧م) ومالك (٧١٢م - ٧٩٥م) والشافعي (٧٦٧م - ٨٢٠م) وابن حنبل (٧٨٠م - ٨٥٥م) قد نهوا تلامذتهم من تقليدهم حتى أن أبا حنيفة كان يمنع تلامذته من تدوين محاضراته وأقواله ، والشافعي كان يقول إن رأيه صواب

قـابل للخطأ ، ورأى غيـره خطأ قـابل للصـواب .. ثم تمر السنون فتتوثن شخصيات هؤلاء الأئمة وتتحول آراؤهم إلى مذاهب واجبة الاتباع لإحداها ، وهو ما كان يرفضه وينهى عنه الأئمة أنفسهم ، وفى ذلك الظـــلام اللجى يخرج فقيـه متحرر من أسر التقليد هو أبو محمد على ابن حزم الأندلسى (٩٩٤م - ١٠٦٤م) الذى نادى بالعـودة إلى الأصـول الإسـلامـيـة الأولى ، أى النصـوص ونبـذ مـا عداها من بدع ألصـقـها الأصـوليـون والفقـهـاء بالدين وذكروا أنها مـصـادر للتشـريع ، ونادى بنبذ روح التـعـصب المتمـثل فى اتباع المذاهب الأربعـة ، لكن الغلبـة كـانت لفـقـهـاء التـقليـد الذين رأوا سلطانهم ينهار وبنائهم المشيد يتهدم ، فما كان من دعوة ابن حزم إلا أن أصابها الاندثار .

لقد استغرقت المذاهب الفقهية والمؤسسات الدينية والجماعات المعـارضـة لهـا فى العناية بالشكليـات والتـقليد ، والعلو والارتفاع بالآراء الشـخصيـة علي حـساب الاجتـهاد والتـجديد وحـرية الرأى شـأنها فى ذلك شأن الأكاديمية الجامعية .. إذن فأساتذة الجامعـة (الدكاترة) والفقهاء وجهان لعملة واحدة .. أى أن المدرسة الفقهية والمؤسسة الدينية الرسمية والجماعة المعارضة لها فى مجال الفقه مقابل للكلية والمعهد والمجمع العلمى فى مجال الدراسة الأكاديمية ، ومبادىء المذهب الفقـهى وفروعه الغزيرة فى مـجال الفقه فى مقابل النظريات فى مجال الدراسة الأكاديمية .

يقول العلامة الأستاذ جمال البنا : « تعود الفكرة الضبابية أو الضالة عن الإسلام والعلمانية إلى لَبْس بالنسبة للمرجعية الإسلامية يصطحب به لَبْس آخر ينشأ عن الحكم على الإسلام بما حدث للمسيحية .. نشأ هذا اللبس من اعتبار الأحكام التى أسسها الفقهاء والأئمة منذ ظهور المذاهب فى القرن الثالث الهجرى ومن ظهر بعدهم من المجددين مثل ابن تيمية وابن حزم فى القرن الثامن والشوكانى فى القرن الحادى عشر ومحمد عبده فى القرن الرابع عشر الهجرى حتي زعماء الدعوات الإسلامية المعاصرة (المودودى - حسن البنا - سيد قطب) هى الآراء التى تمثل وجهة نظر الإسلام فى العلمانية وفي غيرها .. وهذا لبس مفهوم ، أساتذة الجامعات الدينية يرون فى هؤلاء الأئمة الممثلين الطبيعيين للفكر الإسلامى ، ومن هنا اتفق الجميع على اعتبارهم المرجعية المعتمدة والمقررة للتعبير عن الإسلام .. والحقيقة أن هؤلاء جميعاً حتى المتقدمين منهم كأئمة المذاهب الأربعة خضعوا لمناخ سياسى واجتماعى وثقافى معين وتأثروا تأثراً عميقاً ببيئاتهم وسمح تأخر تدوين السنة لمائة عام بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) بإقحام أعداد هائلة - بمئات الألوف - من الأحاديث المكذوبة ، كما أن أسلوب القرآن القائم على المجاز الفنى والنظم الموسيقى واللمسة السيكولوجية أفسح المجال للتأويل والتفسير ودخول إسرائيليات عديدة فى كتب التفسير المعتمدة وبقدر ما كان الزمن يبعد عن العهد النبوى ويوغل فى ظلمات الحكم الفردى

وسيادة الجهالة وهيمنة الفرس والترك على الخلافة وتمزق الحكم الإسلامى .. بقدر ما كانت هذه المؤثرات تنعكس على كتابات وأحكام الفقهاء ، لأنه من العسير جداً على الكاتب أن يخرج من أطر عصره ومستوى فهم هذا العصر ، وليس أدل على هذا من أنه عندما تكاثفت الظلمات قرر الفقهاء أنفسهم إغلاق باب الاجتهاد الذى يصور العجز عن إعمال العقل والتسليم بما ذهب إليه الأئمة والأسلاف ، أى الإفلاس الفكرى كلية » (٥) .

ويقول أيضاً : « ولا يقل دلالة على ما نحن بصدده ماأشرنا إليه آنفاً من أن الإسلام لا يعترف بالمؤسسة الدينية التى تحتكر التفسير والتأويل والتحريم والتحليل وتكون واسطة بين الفرد والله وتؤدى وظائفها داخل مبنى له شروط معينة ككنيسة أو معبد ولا تجوز ممارسة الشعائر الدينية فى أى مكان آخر أو على أيدى رجال آخرين .. قضى القرآن على المؤسسة الدينية بوجهيها قلباً وقالباً واعتبر أن قيام الأحبار والرهبان بالتحليل والتحريم والوساطة بين الفرد والله نوع من الشرك ... كما لم يربط بين أداء الشعائر بالمبنى المعين الذى تقيمه المؤسسة فالأرض كلها مسجد طهور تجوز الصلاة فيه . ومنظر القروى الذى يصلى على شاطىء النيل أو البدوى الذى يصلى وسط الصحراء من المشاهد المألوفة والمسجد نفسه ليس إلا أرض مسورة يمكن لأى واحد إقامته ويمكن لأى واحد يحفظ القرآن أن يكون إماماً فى هذا المسجد » (٦) .

ويقول تعالى : « أرئيت من اتخذ إلهه هـواه أفأنت تكون عليه وكيـلاً » (٧) .. صدق اللــه العظيم .. ودائمـاً وأبـداً صدق اللــه العظيم (٨) .

الهوامش

(١) راجع : ١ – المعجـم الكبيـر – الجزء الأول ـ حرف الهمـزة) – مجمـع اللغـة العربية – مطبعة دار الكتب – القاهرة – ١٩٧٠م – ص ٢٨٥ .

٢ – معجم مصطلحات الأدب – مجدى وهبه – مكتبة لبنان – بيروت – ١٩٩٤م – ص ٢ .

٣ – المعجم الفلسفى – دكتور عبد المنعم الحفنى – الدار الشرقية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م – ص ٢٩ .

(٢) راجع : جمهورية أفلاطـــون – د. أميرة حلمى مطر – مكتبة الأســرة (تراث الإنسـانية) – الهيئـــة المصرية العامة للكتـــاب – القاهرة – ١٩٩٤م – ص ١٠ .

(٣) فى دمغ حجية الإجماع وأصالته فى الحكم على الأشياء كتب الدكتور إمام عبد الفتاح إمام بحثاً لطيفاً بعنوان « الإجماع : ما له وما عليه » بالعدد التاسع من مجلة « سطور » (أغسطس ١٩٩٧م) ، وقد عقبنا عليه فى العدد التالى بسياق الأدلة النظرية فى مقال بعنـوان « أدلة أخرى على بطـلان الإجمـاع » (سبتمبر ١٩٩٧م) .. أما الإجماع فى الفكر الدينى فقد نقدناه باختصار فى كتابنا « مفهوم السيرة فى أصول الفقه الإسلامى : رؤية جديدة تعالج

الإشكاليات الكبرى فى علم أصول الفقه » عن دار الفكر الإسلامى - القاهرة ١٩٩٨م - ص ٢٢ ، وتتلخص الحجج النظرية كما أثبتناها فى مقالنا « أدلة أخرى على بطلان الإجماع » فى :

١ - استحالة تحقق الإجماع عقلاً فى الغالبية العظمى من الأحيان ، إذ إنه لابد من وجود مخالفين مهما كانت ضآلة عددهم ، وفى هذه الحالة لم يوضح مثبتو الإجماع النسبة المئوية التى بها ينعقد الإجماع ، مع العلم بصعوبة - وأحياناً كثيرة استحالة - استخراج هذه النسبة المئوية ، مع استحالة معرفتها علمياً أصلاً .

٢ - اتصاف كافة البشر - مجتمعين أو متفرقين - بالنقص نسبة إلى الله فالمثبتون للإجماع قد ألحقوا قدرة البشر المعرفية بقدرة الله العلمية حين قالوا بعصمة إجماع البشر .

٣ - تغير إجماع البشر على شىء ثابت بتغير الزمان يدل دلالة قطعية على إبطال عصمة الإجماع ، فالتصورات البشرية المجتمعة ليست يقيناً ، نظراً لتطور « النظرية » عبر الزمان .

(٤) إشارة إلى ما عرف فى تراث المسلمين باسم المذاهب الفقهية الأربعة لأهل السنة (الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى) والتى يعد الاختلاف معها فى عرف فقهاء أهل السنة خروجاً عن زمرة الإسلام رغم عدم وجود سند شرعى أو عقلى أو حتى من أقوال الأئمة الأربعة أنفسهم على ضرورة وجود « مذاهب » ، وأن تكون أربعة بالتحديد ، وأن تختص بمناهج أبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل بالذات ، إضافة إلى أن هؤلاء الأئمة قد نهوا أتباعهم عن تقليدهم ، وقرروا أن فقههم مناسب لزمانهم ومكانهم ، وأنه تختلف الأحكام باختلاف الزمان والمكان والفرد .

(٥) الإسلام والحرية والعلمانية (رسائل - ٢) - دار الفكر الإسلامى - القاهرة - ص ١٢ ، ١٤ ، ١٥ .

(٦) السابق - ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٧) الفرقان - ٤٣ .

(٨) أدعوا الأكاديميين العرب إلى مراجعة أنفسهم و ولا داعى لتهديد الكاتب واتهامه بكيت وكيت أو محاولة التفتيش فى ضميره لأنه لا يعلم الغيب إلا الله ، فلا داعى إذن لتضييع الوقت الثمين فيما لا عائد منه غير العداوات والأحقاد .. والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

ماجد صلاح الدين حسن

القاهرة فى ٢/٢/١٩٩٩م



البحث الثانى

الإجمـــــاع

دراسة أصولية

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

الإجماع : دراسة أصولية

الإجماع .. من القضايا الدينية ذات الإشكاليات الكبرى .. وهو أكثر المسائل اضطراباً من حيث اختلاف الفقهاء والأصوليين ليس حول مسائله المتشعبة وفروعه المتبعثرة فحسب ، وإنما حول تعريفه أصلاً ، رغم أنه يحمل مسمى « الإجماع » !! .. والإجماع يحمل في دلالاته اللغوية معاني الاتفاق والضم والتوحد ولم الشتات وعدم التفرق .

والإجماع جذره اللغوي (ج-م-ع) ، ويعرف هذا اللفظ ابن منظور في « لسان العرب » فيقول : « جَمَعَ الشيءَ عن تفرقة يجمعه جمعاً وجَمَّعه وأجمعه فاجتمع واجْدَمَعَ ، وهي مضارِعَة ، وكذلك تَجَمَّعَ واستجمع . والمجموع - الذي جُمِعَ من هـهنا وهـهنا وإن لم يُجْمَلْ كالشيء الواحد . واستجمع السيلُ : اجتمع من كل موضع . وجَمَعْتُ الشيء إذا جِئْتَ به من هـهنا وهـهنا . ومتجمع البيداء : معظمها ومحتفلها » (١) .

والإجماع : عند الفيروزابادي (٢) في « القاموس المحيط » الاتفاق .

وفى الفقه وأصوله الإجماع مفهوم غاية فى الاضطراب وعدم الضبط ؛ فيعرفه محمد بن حمزة الغفارى بأنه : « اتفاق المجتهدين من أمة محمد عليه السلام فى عصر على حكم شرعى » ، ويعرفه الكمال بن الهمام بأنه : « اتفاق مجتهدى عصر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر شرعى » ، ويعممه الآمدى على العوام فيعرفه بأنه : « اتفاق أمة محمد خاصة على أمر من الأمور الدينية » ، والجوينى يقول إنه : « اتفاق علماء أهل العصر على حكم الحادثة ، ونعنى بالحادثة الحادثة الشرعية » ، وصفى الدين الحلى : « هو اتفاق علماء العصر من الأمة على أمر دينى ، وقيل اتفاق أهل الحل والعقد علي حكم الحادثة قولاً » ، ويستبدل البيضاوى والشوكانى وصديق خان والقرافى لفظ « على أمر دينى » الوارد فى تعريف صفى الدين الحلى بقول : « على أمر من الأمور » ، أما النظام فيقول : « هو كل قول قامت حجته حتى قول الواحد » أما عند الشيعة فهو إجماع أهل البيت (على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ابنى على رضى الله عنهم أجمعين) ، كما اعتبر قوم الإجماع هو إجماع أهل المدينة ، وبعضهم اعتبره إجماع أهل الحرمين ، وبعضهم اعتبره إجماع أهل المصرين البصرة والكوفة ، والبعض اعتبره إجماع الشيخين ، وآخرون اعتبروه إجماع الخلفاء الأربعة ، وآخرون قالوا إن الإجماع هو إجماع الأئمة الأربعة (٣) .

أما في القرآن العظيم فلم يرد لفظ « الإجماع » رغم غزارة ورود الألفاظ المشتقة من جذره اللغوى (ج-م-ع) ، فنجد : جَمَعَ وجمعناكم وجمعناهم وجَمَعَهم وجَمَعوا ونجمع ويجمع ويجمعكم وليجمعنكم ويجمعون وجُمِع وأَجْمَعوا وأَجْمِعوا واجتمعت واجتمعوا والجمع وجمعاً وجَمْعُكُم وجَمْعَهُ وجَمْعِهِم والجمعان وجامع ومجمع ومجموع ولمجموعون ومجتمعون وجميع وجميعاً وأجمعون وأجمعين والجمعة .. لكننا لا نجد مطلقاً رغم هذا الحشد الهائل من الاشتقاقات المختلفة لفظ « إجماع » أو « الإجماع » !! كما أننا لا نجد من بين هذه الألفاظ التي يحتويها الجذر اللغوى (ج-م-ع) ما يشير إلى المصطلح الذى استعمله الفقهاء والأصوليون باختلاف التعريفات الاصطلاحية التى بنوا على أساسها مباحث قضية « الإجماع » !!!

و « الإجماع » – عند الأصوليون – هو الأصل الثالث من أصول الإسلام ؛ لذا فإن له مكانة خاصة فى قلوب الخواص والعوام على السواء ، وكان أول من استعمل هذا المصطلح الأصولى الإمام الشافعى في كتابيه عن علم أصول الفقه « الرسالة » و « جماع العلم » رغم أنه لم يستعمله أئمة الفقه السابقون عليه زيد بن على زين العابدين وجعفر الصادق وأبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس ، كما رفضه الإمام اللاحق عليه أحمد بن حنبل .. ويقول المرحوم الشيخ الأستاذ على عبد الرازق : « روى الإمام على بن حزم

الأندلسي في كتاب الأحكـــام (جزء ٤ ص ٨٦١) عن عبد اللـه بن أحـمـد بن حنبل قـال سـمـعت أبى يقـول « مـا يدعى فـيـه الرجل الإجماع هو الكذب . من ادعى الإجمـــاع فـهو كذاب ، لعل الناس قـد اخـتلفـوا – مـا يدريه – ولم ينتبـــه إليـه فليـقل لا نعلم الناس اختلفوا » .. » (٤) .

والغـالب فى الأمـر أن الإمام الشـافـعى وضـع هذا المصطلح وآلياته باجـتـهـاد حسن النية ، لكن الفـقـهـاء الذين جـاءوا بعده إلى يومنا هذا واستعملوا هذا المصطلح العائم بإفراط قد احتموا ورائه حتى يكون حائطاً منيعاً يحميهم ، بل وحجراً ثقيلاً يقذفون به كل من تسول له نفسه أن يعارضهم .. يقول المرحوم الشيخ الأستاذ مـحـمـد أبو زهرة : « هذا هـو النظر فى الإجـمـاع الذى كـان فى العصر الذى عاش فيه أحمد ، كثر القول فيه . ادعاه كثيرون فى الحجاج والمناظرة ، فكان يسهل على المناظر أن يقول إن عامة أهل العلم ، أو إجماع أهل العلم على مثل نظره ، ويرد عليه مناظرة تلك الدعوى ، وهذا النظر ، مبيناً خلاف نظره ، وينسبه إلى أهل العلم ، وهذا الأوزاعى إمـام الشـام يحسب أن عـامـة أهل العلم على أن الرجل يشـهم له لفرسين ، فيـرد دعواه أبو يوسف منكراً الإجـمـاع مستنكراً الاحتجاج به من غير بيان من هم المجتمعون » (٥) .

وهذا الـهـوى فى اسـتـخـدام لفظ « الإجـمـاع » لإصـمـات الخصوم والأعداء تكرر أيضـاً فى القضية التى سبق تناولها وهى

الاختلاف فى تعريف الإجماع ؛ فقد نشأ الاختلاف فى تعريفه بجانب أسباب الاختلاف فى آلياته إلى سبب خطير وهو الهوى السياسى والاجتماعى والمذهبى ؛ فالشيعة قد اعتبروا الإجماع إجماع أهل البيت ، وأتباع مالك جعلوه إجماع أهل المدينة ، وهكذا اختلفت التعريفات ليس بناء على أسس علمية موضوعية ، وإنما لأغراض نفسية وأهواء مذهبية وسياسية واجتماعية .. فلاحول ولا قوة إلا بالله !!

ومن المؤيدين لفكرة «الإجماع » أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .. لكنه يؤكد أن الكثير من المسائل « يظن بعض الناس فيها إجماعاً ، ولا يكون الأمر كذلك ، بل يكون القول الآخر أرجح » (٦) .

ومن العيوب التى وقع فيها الفقهاء والأصوليون أنهم لم يحددوا مفاهيم واضحة للمصطلحات ، وليس هذا فحسب كما فصلنا سابقاً ، وإنما الخطورة تكمن حين يصل الالتباس إلى مزج المصطلحات بعضها فى بعض .. يقول الدكتور نصر حامد أبو زيد : « وهكذا ينتهى مفهوم « الإجماع » إلى الاندراج فى مفهوم « السنة » ، وهو المفهوم الذى يتسع لدى الشافعى لسنن الأعراف والعادات والتقاليد ، ولا يقتصر – كما سلفت الإشارة – على المروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحياً وتشريعاً . ومعنى إدراج « الإجماع » فى السنن ، أن مفهوم السنة ذاته يتسع – مرة أخرى – بإضافة إجماع الأجيال التالية – التى هى سنن تاريخية – إليها » (٧) .

وإذا حاولنا التوفيق بين التعريفات المختلفة للإجماع لنخرج بتعريف عام يصلح عن طريقه مناقشة جميع الآراء المختلفة حول تعريفه ، فإننا بذلك نكون قد ضيقنا مجال المناقشة وحصرناه فى دائرة جامعة لشتى الاتجاهات ، مانعة للاضطراب والتشتت ، وبعد ذلك نستطيع أن نقول إن الإجماع هو اجتماع بعض أفراد المسلمين أو كلهم علي أمر شرعى .. فاجتماع كل الأفراد غير متحقق أصلاً ، وإذا فرضنا حدوثه فليس ثمة معصوم عصمة كاملة إلا الله وحده بلا شريك .. والقرآن نص على خطأ ليس الأنبياء فحسب وإنما الملائكة أيضاً ، وضرب مثالاً على ذلك هاروت وماروت .. والسبب فى عدم عصمة المخلوقات أنها تتصف بالنقص نسبة إلى خالقها وهو الله عز وجل ، وذلك « لأن اتفاقهم قد يكون بدافع العادة أو العقيدة أو الانفعال النفسى أو الشبهة أو نحو ذلك . وكل هذه الدوافع من خصائص البشر لا يشاركهم الشارع فيها لتنزهه عنها » (٨) .. كما أن « تغير إجماع البشر على شيء ثابت بتغير الزمان يدل دلالة قطعية على إبطال عصمة الإجماع ، فالتصورات البشرية المجتمعة ليست يقيناً ، نظراً لتطور « النظرية » عبر الزمان » (٩) .

ويلحظ بطلان الاعتماد على الإجماع كدليل شرعى نابهاً إلى مقاصد الشريعة الغراء المرحوم الأستاذ حسن البنا إذ يقول : « ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف فى فروع الدين أمر لابد منه ضرورة ، ولا يمكن أن نتحد فى هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة :

منها اختلاف العقول فى قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص على أعماق المعانى . وارتباط الحقائق بعضها ببعض ، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأى فى حدود اللغة وقوانينها ، والناس فى ذلك جد متفاوتين فلابد من خلاف .

ومنها سعة العلم وضيقه . وإن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر من شأنه كذلك . وقد قال مالك لأبى جعفر : « إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى الأمصار وعند كل قوم علم ، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة » .

ومنها اختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة ، وإنك لترى الإمام الشافعى رضى الله عنه يفتي بالقديم فى العراق ويفتى بالجديد فى مصر ، وهو فى كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق فى كليهما .

ومنها اختلاف الاطمئنان القلبى إلى الرواية عند التلقين لها ، فبينما نجد هذا الراوي ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه نفسك وتطيب بالأخذ عنه ، تراه مجروحاً عند غيره لما علم من حاله .

ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدماً على خبر الآحاد مثلاً وذاك لا يقول معه به وهكذا .

الإجماع على أمر فرعى متعذر .

كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد فى فروع الدين مطلب مستحيل ، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين ، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشى الأزمان ، وهو لهذا سهل مرن هين لين لا جمود فيه ولا تشديد » (١٠) .

ومن الأمور العجيبة والمستفزة التى حفلت بها كتب التراث فكرة أن « الإجماع » ينسخ القرآن والسنة ، بينما هما لا ينسخاه !!! « وبعضهم قال بأن قول الذى ينفرد وحده بالاجتهاد فى قرية يعد من قبيل الإجماع ، فإذا قال برأى مناقض للقرآن أخذنا به وتركنا القران لأن الإجماع - عندهم - ينسخ القرآن !! » (١١) .

ومن العجائب قول صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله البغدادى الحنبلى فى كتاب « قواعد الأصول ومعاقد الفصول » : وإنما ترتيب الأدلة وترجيحها فإنه يبدأ بالمنظر فى الإجماع فإن وجد لم يحتج إلى غيره فإن خالفه نص من كتاب أو سنة علم أنه منسوخ أو متأول لأن الإجماع قاطع لا يقبل نسخاً ولا تأويلاً » (١٢) !!

ويقول على عبد الرازق : « وفى جمع الجوامع وشروحه : يقدم الإجماع على النص لأنه يؤمن فيه النسخ بخلاف النص » (١٣) !!

ويقول كذلك : « قال صاحب كشف الأسرار ، الإجماع يجوز ناسخاً للكتاب والسنة عن بعض مشايخنا منهم عيسى بن أبان وإليه ذهب بعض المعتزلة ، وتمسكوا بما روى أن عثمان رضى الله عنه لما حجب الأم عن الثلث إلى السدس بأخوين قال ابن عباس رضى الله عنهما كيف تحجبها بأخوين وقد قال تعالى : « فإن كان له إخوة فلأمه السدس » والأخوات ليسا بأخوة ؟ قال حجبها قومك يا غلام ، فدل على جواز النسخ بالإجماع ، وبأن المؤلفة قلوبهم سقط نصيبهم من الصدقات بالإجماع المنعقد فى زمان أبى بكر رضى الله عنه » (١٤) .

وقد تفرعت مسائل غاية فى التفاهة عن مفهوم الإجماع ، وقد ذكر بعضها وناقشها المرحوم على عبد الرازق فى كتابه « الإجماع فى الشريعة الإسلامية » .. منها :

١ - هل يعتبر إجماع العوام إذا خلا الزمان عن مجتهد ؟

٢ - هل يجوز خلو الزمان عن مجتهد ؟

٣ - هل يمكن ارتداد الأمة كلها فى عصر ؟

٤ - هل يمكن وجود دليل لا معارض له يشترك أهل الإجماع فى عدم العلم به ؟

٥ - هل يعتبر المبتدع فى تحقيق الإجماع ؟

٦ - هل تضر مخالفة الواحد ؟

٧ - إذا لم يوجد فى عصر إلا مجتهد واحد أو اثنان أو عدد دون عدد التواتر ، فهل ينعقد الإجماع ؟

٨ - هل قول القائل لا أعلم خلافاً فى المسألة يكون إجماعاً ؟

٩ - إذا اختلفت الأقوال فى تحديد شىء ، فهل يكون التمسك بالأقل إجماعاً ؟

١٠ - هل يعتبر بإجماع الأمم السابقة ؟

١١ - ما حكم الإجماع على حكم غير شرعى ؟ (١٥) .

وبعد .. فلم يحدد المثبتون للإجماع النسبة المئوية التى بتحققها ينعقد الإجماع ، مع العلم أنها لابد أن تكون أقل من (١٠٠ ٪) نظراً لأنهم يعتبرون المخالفين للإجماع شواذاً ، بل وفي أغلب الأحيان كفاراً ، لأنهم أنكروا ما علم من الدين بالضرورة (!!!) .. إذن فهم لا يعتبرون أن الإجماع هو إجماع (١٠٠ ٪) من المتحقق باتفاقهم الإجماع .. مع العلم أن استخراج النسبة المئوية لانعقاد الإجماع نظرياً (أى تحديد مقدارها » وعملياً (فى الحادثة المعينة) أمر إن لم يكن مستحيلاً فهو فى غاية الصعوبة .

إن أسئلة كثيرة تطرح نفسها فى هذه القضية الشائكة .. منها : إذا ادعى الإجماع فى مسألة ما شخص فى زماننا الحاضر ، فأين سنده ومرجعه الذى ورد فيه هذا الإجماع ؟! .. وإن

وجد فكيف يستطيع ذلك المصدر الذى يدعى الإجماع أن يحصر كل أفراد الذين يتحقق باتفاقهم الإجماع ؟! .. وما الدليل على صدق المصدر أو صدق الأفراد ؟! .. وإن صدقوا ، فما الدليل على عدم نسيانهم أو خطأهم أو خلطهم للوقائع والأحداث ؟! .. أسئلة كثيرة غفل عنها - أو تهرب منها - المثبتون للإجماع !!

وهؤلاء المثبتون قد ساقوا بعض الآيات القرآنية اعتباراً أنها دليل على الإجماع وحجة على وجوده ، رغم أنها لم يرد فيها لفظ الإجماع .. منها قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » (النساء - ١١٥) .. يقول الدكتور مهدى فضل الله : « ولعل الغزالى كان أول من تنبه لهذا المعنى فى الآية ، حيث قال : « الظاهر أن المراد بها [أى الآية] أن من يقاتل الرسول ويشاقه ويتبع غير سبيل المؤمنين فى مشايعته ونصرته ورفع الأعداء عنه ، نوله ماتولى . فكأنه لم يكتف بترك المشاقة ، حتى تنضم إليه متابعة سبيل المؤمنين فى نصرته والذب عنه والانقياد له فيما يأمر وينهي » (أصول الفقه ، ٢/٩٠ وروضة الناظر وجنة المناظر ، ص ١١٦ - ١١٧) .. » (١٦) .

وكذلك استشهد المثبتون للإجماع بالآية الكريمة « وكذلك جعلناهم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » (البقرة - ١٤٣) .. ويحاول تفسيرها الدكتور مهدى فضل الله بقوله : « دلالة الآية هى

إثبات العدالة للأمة الإسلامية وليس العصمة عن الخطأ الذى هو المراد بالإجماع . إذ لا يمتنع صدور غير الحق من الشخص العادل . وثمة فرق كبير بين الشاهد العدل الذى يصدر عنه الحق فى أداء الشهادات ونقل الأخبار ، وبين استخراج الأحكام أو الاجتهاد الذى يحتمل الخطأ والصواب » (١٧) .

وكذلك استشهد المثبتون للإجماع بالآية الكريمة « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » (آل عمران - ١١٠) ..

ويحاول الدكتور مهدى فضل الله تفسيرها بقوله : « الآية لا تفيد أكثر من التفضيل النسبى للأمة الإسلامية على غيرها من الأمم . والتفضيل لا يلزم منه العصمة عن الخطأ أو عدم فعل القبائح .. فضلاً عن أنه لا توجد ملازمة بين عدم جواز وقوع الخطأ من المسلمين وبين كونهم خياراً ، لأن الخيار غير معصومين عن الخطأ » (١٨) .

وقد استشهد المثبتون للإجماع بالسنة .. ولنا رأي فى الاستشهاد بالسنة دونّاه بتفصيل نظرى فى كتابنا « مفهوم السيرة فى أصول الفقه الإسلامى » (١٩) .. وذلك لأن الآثار المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام إما موضوعة مهما قوى سندها ، وإما قالها الرسول عليه الصلاة والسلام فى مناسبة معينة ، ولم تصل إلينا بتفصيلاتها .

أما الأحاديث التى أثبتت الإجماع فلم تصل إلى حد التواتر (بالاتفاق) ، كما أنها غير واضحة الدلالة ، وعلى رأسها حديث : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ، وفى رواية أخري « على خطأ » .. فماذا يقصد بقول « أمتى » ؟ .. هل هم الصحابة ؟ أم هل هم المجتهدون فى عصر من العصور ؟ .. وماذا يقصد بالاجتماع ؟ .. هل هو الاجتماع على اجتهاد ما ؟ أم هل هو إجماع جيل بعد جيل على تخصيص عام القرآن ؟

إذن فلا دليل على حجية الإجماع لا فى العقل ولا فى نص القرآن والنصوص المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .. بقى الذين يستشهدون على الإجماع بإجماع الأمة على حجية الإجماع .. وهذا أمر متهافت ؛ إذ كيف تستشهد على الخطأ بالخطأ ، أو الظن بالظن ، أو الضعيف بالضعيف .. يقول أبو حامد الغزالى : « إثبات الإجماع بالإجماع تهافت » (٢٠) .

نأتي إلى زاوية أخرى من زوايا القضية قيد المناقشة ، وهى زاوية لم نَقِفْ على من تناولها على هذا الشكل من قبل ، وهى « موقف الإجماع من القرآن » ، وفى ذلك أربعة أنواع :

١ - إجماع على حكم تناوله القرآن .

٢ - إجماع على تخصيص عام القرآن (التواتر ، السيرة ، السنة العملية) .

٣ - إجماع علي أمر سكت عنه القرآن (تشريع جديد) .

٤ - إجماع على أمر مناقض للقرآن (النسخ) .

فالأول لا حاجة إليه ، ولا حجة فيه .. لا حاجة إليه لأن القران قد أورده وكفى .. ولا حجة فيه لأنه لا سلطة فوق القرآن ، والإجماع ليس مقوياً للقرآن « كبرت كلمة » .. يقول الدكتور مهدى فضل الله : « فإذا كان الإجماع مستنداً إلى كتاب الله ، فلا معنى لالتماس الحكم من الإجماع ، إذ يكفى سنداً له الكتاب » (٢١) .

والثانى الإجماع على تخصيص عام القرآن ، وقد خرج إلي معنى «التواتر » أو ما أسميناه « السيرة » ، وسنفصل ذلك بعد قليل .

والثالث الإجماع على أمر سكت عنه القرآن ، وذلك ما نفيناه ؛ إذ إن القرآن قد تناول التشريع كاملاً و « السيرة » السابقة الذكر هى التى تخصص عامه ، واللغة هى التى توضح معناه ، والعقل هو الذى يقوم بعملية الاجتهاد فى استخراج الأحكام .. وكل تلك الأشياء آليات تفسير وليست مصادر أخري للإسلام كما يزعم البعض ؛ ليغطوا - بقصد أو بغير قصد - على القرآن المصدر (الوحيد) للإسلام .

أما الرابع وهو الإجماع على أمر مناقض للقرآن ، أو ما أسماه الأصوليون والفقهاء النسخ (نسخ الإجماع للقرآن) فهو أمر

متهافت ؛ إذ كيف يلغى البشر مهما علت منزلتهم ، ومهما كان عددهم واجتماعهم وتمسكهم برأيهم الأحكام الإلهية التى دونت فى القرآن العظيم ؟ (!!!!) .

يقول المرحوم علي عبد الرازق : « كان إبراهيم النظام يزعم أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأسرها قد يجوز عليها الاجتماع على الضلالة من جهة الرأى والقياس لا من جهة التنقل (النقل) عن الحواس » (٢٢) .. وهذا الرأى هو ما نراه إذ يستحيل أن تجمع الأمة علي الكذب أو الخطأ فى نقل تخصيصات عام القرآن جيلاً بعد جيل ، يستحيل ذلك من الناحية الموضوعية ؛ حيث إن التواتر دليل علمى صحيح (١٠٠ ٪) ، وهذا هو ما أسميناه السيرة ، و« هى كل ما أثر عن الرسول عليه الصلاة والسلام ووصل إلينا (بتواتر جماعة المسلمين عبر الزمان) .. أو على حد تعبير الدكتور إسماعيل منصور ، أنها « نقلت إلى المسلمين بالتواتر الفعلى من جيل لآخر بتسلسل متصل وتتابع دائم دون أدنى احتياج إلى تلقى رواية أو كتابة حديث وهذا واضح يدركه كل ذى عينين » .. والسنة العملية [أو السيرة] تحمل جميع الأحكام الشرعية التى وردت عامة أو مطلقة أو مجملة فى نص القرآن العظيم ، وذلك مثل عدد الصلوات وأوقاتها وما يؤديه المصلى من أفعال وما يتلفظ به من أقوال ، ونسب الزكاة ، وتوقيت الصيام .. إلخ » (٢٣) .

ويتفق معنا ابن حزم ، فيما ذهبنا إليه من عصمة « السيرة » أو « التواتر » أو « السنة العملية » (٢٤) ، وكل تلك المصطلحات لها عندنا معنى واحد .

أما ما نأخذه عن « أهل الشورى (بالتعبير القرآنى) » ، أو كما يسميهم التراثيون « أهل الحل والعقد » ، والذى قد يدخله البعض فى زمرة « الإجماع » ، فهو وإن كان ظنى الصواب فإننا يجب أن نأخذ به لأمر القرآن لنا باتباعه ، وهو إما إجماع فى أمر دنيوى كقواعد المرور ، وقواعد الالتحاق بالوظائف ، والتقاليد العسكرى ، وقواعد تحويل العملات ، فهى أمور خاضعة للتغيير حسب الحاجة إليها ولم تنزل بها تشريعات قرآنية ، فإذا كانت فى مصلحة الأمة فالأجر يعود على أهل الشورى ، وإذا كانت ضد مصلحتها فإنه يجب تنفيذها باضطرار - مع العمل على محاولة تغييرها - والإثم يعود على أهل الشورى .

أما إذا أجمع أهل الشورى على أمر مخالف لتشريعات القرآن فالإثم يعود عليهم ، وعلي الأمة أن تخالفه قدر الاستطاعة ، وأن تحاول تغييره - أيضاً - قدر الاستطاعة بما لا يحقق فساداً فى الأرض .

إن القرآن العظيم صامد عبر الزمان مهما حاول دعاة التشكيك فى صحته باسم التقدم والتطور ، ومهما حاول النسخ والإلغاء تنحيته جانباً باسم الإسلام .. وإعجازه متجدد عبر الزمان منذ نزوله إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .. وسيظل

كما قرر سبحانه وتعالى المصدر (الوحيد) للإسلام .. يقول تعالى : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » (العنكبوت - ٥١) .. ويقول تعالى : « فبأى حديث بعده يؤمنون » (الأعراف - ١٨٥) .. ويقول تعالى : « فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » (الجاثية - ٦) صدق الله العظيم ، ودائماً وأبداً صدق الله العظيم .

الهوامش

(١) ج (١) ، ص (٦٧٨) ، دار المعارف ، القاهرة .

(٢) ج (٣) ، ص (١٥) ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسنية ، القاهرة ، ١٣٣٠ هـ .

(٣) راجع : على عبد الرازق ، الإجماع فى الشريعة الإسلامية ، ص (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٤٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١) ، ويقول رحمه الله فى الصفحة السادسة من نفس الكتاب : « ويختلف الأصوليون فى تعريف الإجماع اختلافاً كثيراً تبعاً لاختلافهم فى كثير من مسائل الإجماع المتعلقة بأركانه وشروطه وأحكامه » ، ولكنه رحمه الله كان غافلاً عن سبب آخر من أسباب اختلافهم حول تعريف الإجماع ، وهو ما سنذكره لاحقاً .

(٤) الإجماع فى الشريعة الإسلامية ، ص (١٦) ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

(٥) ابن حنبل ، ص (٢٠٦) ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

(٦) ابن حنبل ، محمد أبو زهرة ، ص (٢٠٣) ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

(٧) الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجيا الوسطية ، ص (٨٩) ، دار سينا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

(٨) محمد رضا المظفر ، أصول الفقه ، المجلد الثانى ، ص (٨٦) ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠م ، بيروت .

(٩) ماجد صلاح الدين حسن ، أدلة أخرى على بطلان الإجماع ، مجلة سطور ، العدد (١٠) ، سبتمبر ١٩٩٧م ، ص (١٠٥) .

(١٠) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ص (٣١ ، ٣٢) ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، الطبعة الشرعية ، ١٩٩٠م / ١٤١١ هـ .

(١١) من الندوة التى ألقاها الكاتب برواق ابن خلدون بالمقطم يوم ١٦/٢/١٩٩٩م .. انظر : مجلة المجتمع المدنى ، العدد (٨٨) ، أبريل ١٩٩٩م ، ص (١٩) .

(١٢) راجع : الإجماع فى الشريعة الإسلامية ، على عبد الرازق ، ص (٩٦) .

(١٣) السابق ، ص (٩٧) .

(١٤) السابق ، ص (٩٧ ، ٩٨) .

(١٥) راجع ، مع أمثلة أخرى : السابق ، ص (٤٩) .

(١٦) الاجتهاد والمنطق الفقهى فى الإسلام ، ص (١٥٢) ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، كانون الثانى (يناير) ١٩٨٧م .

(١٧) السابق ، ص (١٥٣) .

(١٨) السابق ، ص (١٥٣) .

(١٩) صدر عن دار الفكر الإسلامى بالقاهرة سنة ١٩٩٨م .

(٢٠) راجع : على عبد الرازق ، الإجماع فى الشريعة الإسلامية ، ص (٤١) .

(٢١) مرجع سابق ، ص (١٥٥) .

(٢٢) مرجع سابق ، ص (١١) .

(٢٣) ماجد صلاح الدين حسن ، مفهوم السيرة (مرجع سابق) ، ص (١٢ ، ١٣) .

(٢٤) راجع : على عبد الرازق ، الإجماع فى الشريعة الإسلامية ، ص (٤٣) .



البحث الثالث

الصحابة

بين الإشكال الاصطلاحي

والحجية المرجعية

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣)

الصحـــابة

استغرقت قضية « الصحابة » ردحاً طويلاً من الزمان بما تشمله من مغالطات وتناقضات فى اعتقاد الفقهاء والأصوليين والمحدثين متلحفة بالتقليد والجمود العقليين حتى غدت من المسلمات العقائدية والمقدسات الدينية التى لا يجوز الاقتراب منها فضلاً عن مجرد محاولة التحاور حولها ؛ الأمر الذى أدى إلى توثين بعض الشخصيات التاريخية ووضعها فى غير موضعها الطبيعى والمرجعى .

فهذه القضية يرتكز حوارنا حولها على إشكاليتين : الأولى تتمثل فى الاضطراب الاصطلاحى ، والأخرى تتمثل فى حجية المرجعية الفقهية والحديثية .. والإشكالية الثانية تستمد بعض جذورها من الأولى .

* * *

يُعَرِّف ابن حجر العسقلانى الصحابى بقوله : « الصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام ، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى [...] ويدخل فى قولنا :

مـــؤمنـاً بـه ، كل مكلف من الجن والإنس [...] وهـل تـدخل الملائكة محل نظر [...] ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت [أى النبى عليه الصلاة والسلام] سواء اجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى أم لا » (١) .

يتضح من هذا التعريف الذى ساقه ابن حجر العسقلانى والذى سار عليه الفقهاء والأصوليون والمحدثون قبل زمان ابن حجر وبعده إلى يومنا هذا أن « الصحابى » - فى رأيهم - هو الإنسى أو الجنى - أو المَلَك عند بعضهم - الذى رأى النبى عليه الصلاة والسلام ولو للحظة واحدة ومات على الإسلام ، وبناء على هذا التعريف فالصحابة يعدون بعشرات الآلاف - وربما أكثر بكثير - من الإنس والجن .

فإذا عدنا إلى معـاجم اللغـة العربيـة فسنجد أن « الصـحـبـة » تعنى المرافقـة والملازمـة ، ومن شـروط ذلك طول المـدة ، أى أنه لا يكون الشخص صـاحباً للآخـر إلا إذا طالت مرافقتهما وملازمتهما بعضها لبعض ، فهل هذا ينطبق على التـعـريف المذكـور للصـحـابى ؟! بالطبع لا .. لأنه ينص على اتصاف الشخص بالصحبة إذا رأى النبى عليه الصلاة والسلام ولو للحظة .. أو العكس !

وإذا رجعنا إلى القرآن فسنجد رغم الاشتقاقات المتعددة للأصل (ص - ح - ب) والتكرارات العديدة لهذه الاشتقاقات

أنه لم يرد أى ذكر لهذا اللفظ بالمصطلح الذى استعمله الفقهاء والأصوليون والمحدثون إلا فى حالة واحدة هى حالة أبى بكر الصديق حين كان مختبئاً مع رسول الله عليه الصلاة والسلام فى الغار ، وهى حالة فردية ولا يصح إطلاقها علي الجميع ، كما أنها لا تخرج عن المعنى اللغوى للكلمة ؛ إذ كان أبو بكر صاحباً ملازماً للرسول عليه الصلاة والسلام .

أما إذا انتقلنا إلى السنة فسنجد هذا المصطلح إن ورد - وهذا نادر الحدوث - فإنه يرد بغير شرح أو إيضاح لمعناه (٢) .

* * *

يقول ابن حجر العسقلانى فى « الإصابة » بعد تعريفه المذكور سابقاً : « اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة » (٣) ، والجميع يسلم بهذه الصفة كما يسلم بالتعريف المذكور ، كما يسلمون بأن العدالة هى التجرد من أسباب الفسق وخوارم المروءة .. فكيف يعتقدون بذلك وهم يسوقون الأمثلة فوق الحصر - وسنمثل لبعضها لاحقاً - ممن وسموا بالصحبة وهم لم يسلموا من أسباب الفسق وخوارم المروءة وما هو أدهى من ذلك ؟!!

ومن الأقوال التى تتسم بالغلو فى تعديل الصحابة قول أحمد بن حنبل : « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا

يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص ؛ فمن فعل ذلك أُدِّب فإن تاب وإلا جلد فى الحبس حتى يموت أو يرجع » !! .. وقول ابن حزم : « الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً » (!!!) .

* * *

إن الأسباب الحقيقية التى دفعت الفقهاء والمحدثين إلى تبنى هذا التعريف الساذج للصحابة ، ووصفهم بالعدالة ، واعتبار العدالة على هذا النحو الغالى كلها لا تخرج عن زمرة السياسة ، إذ إن العديد من رجالات الدولة الأموية الكبار يعدون – حسب التعريف السابق – من الصحابة ، فمن الحكام معاوية بن أبى سفيان ومروان بن الحكم ، ومن القادة والرواد عمرو بن العاص وأبو هريرة والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وبسر بن أبى أرطأة وحابس بن سعد الطائى وزياد بن أبى سفيان وشرحبيل بن سمط الكندى والنعمان بن بشير ويزيد بن أسد القسرى .

* * *

ومن يطلع على الموسوعات التي ترجمت الصحابة . وأشهرها « الإصابة فى تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلانى ، و «أسْد الغابة فى معرفة الصحابة » لابن الأثير ، و « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » لابن عبد البر فسيعثر على

مئات النماذج ممن يدعون بالصحابة لا يتردد عاقل فى نبذها والبراءة منها .. من هذه النماذج :

١ - بُسر بن أبى أرطأة : ذبح ابنى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدى أمهما ، وأغار على همدان فقتل وسبى نساءهم فكن أول مسلمات سبين فى الإسلام ، وقتل أناساً من بنى سعد ، وكان سكيراً يشرب الخمر ، وكان من الجماعة الذين شهدوا زوراً لدى معاوية بن أبى سفيان أن علي بن أبى طالب شارك فى قتل عثمان بن عفان ، وبعد كل هذا تروى عنه أربعة أحاديث منسوبة إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا يقدح فيه قادح من المحدثين وأهل الجرح والتعديل بحجة أنه ممن رأوا الرسول عليه الصلاة والسلام !! (الإصابة ١/١٥٢) .

٢ - بُجير بن عبد الله بن مرة : هو الذى سرق عيبة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والعيبة هى ما يوضع فيه الملابس . (الإصابة ١/١٤٣) .

٣ - معاوية بن حديج : هو الذى قتل الرجل الصالح بن الخليفة الأول محمد بن أبى بكر الصديق بأمر من عمرو بن العاص . (الإصابة ٦/١١١) .

٤ - مسلمة بن مخلد : من محركى الفتن وصانعى الاضطرابات ، أشعل فتيل الحرب ضد الإمام على بن أبى طالب ، كما أنه كان وراء عزل الفاتح عقبة بن نافع حينما كان متهيئاً لفتح بلاد المغرب . (الإصابة ٦/٩٧) .

٥ - نعيمان بن عمرو بن رفاعة : جلده الرسول عليه الصلاة

والسلام فى الخمر أربع مرات ، وذات يوم مر بمخرمة بن نوفل الكفيف البصر فقال : ألا رجل يقودنى حتى أبول ، فأخذ نعيمان بيده حتى بلغ مؤخر المسجد وقال له : ههنا فَبُلْ ، فبال .(الإصابة ٢٥٠/٦) .

٦ - الوليد بن عقبة بن أبى معيط : كان من محركى الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان ، وكان فاسقاً يشرب الخمر ، وروى أنه ذات يوم صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو مخمور .. روى عن النبى عليه الصلاة والسلام حديثين ، اعتبرهما المحدثون صحيحين لأن راويهما صحابى عدل !! (الإصابة ٣٢١/٦) .

٧ - عبد الرحمن بن ملجم : الخارجى المعروف .. قاتل الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، اعتبره الذهبى وبعض الفقهاء من الصحابة ، وطعن فى ذلك ابن حجر العسقلانى لعدم معقوليته . (الإصابة ١٠٠/٥) .

٨ - جماعة من « الصحابة » منهم يزيد بن أسد القسرى وأبو الأعور السلمى وحابس بن سعد الطائى وبسر بن أبى أرطأة السابق الذكر شهدوا زوراً مع نفر آخرين أن الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه شارك فى قتل عثمان ابن عفان (٤) ... ولا حاجة لنا إلى تعليق بعد هذه النماذج . (الإصابة ٣٣٦/٦) - المطبعة الشرقية - ١٩٠٧م .

* * *

ومن الأحاديث المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام

ويعتقد بها الكثيرون من الخاصة والعامة على العدالة الغالية للصحابة قول : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .. هذا الحديث علق عليه المحدث المعاصر محمد ناصر الدين الألبانى بقوله إنه موضوع ، وقال فيه قديماً ابن عبد البر : « هذا إسناد لا تقوم به حجة » ، وقال ابن حزم : « هذه رواية ساقطة » (٥) .

* * *

تنقسم الحجية المرجعية للصحابة إلى قسمين : قسم يتعلق بعلم الحديث ، والقسم الآخر بعلم الفقه .. فمرجعية الصحابى في علم الحديث تتمثل فى روايته عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والصحابة كلهم - بما يشتملون من نماذج ساقطة كما ذكرنا - عدول عند علماء الحديث والجرح والتعديل رغم اعترافهم بتعلق بعضهم بأسباب الفسق وارتكابهم لخوارم المروءة ، فكيف يسمونهم بالعدالة بعد ذلك ؟! وهل مجرد رؤية النبى عليه الصلاة والسلام ولو للحظة واحدة مع ارتكاب الكبائر والاستبداد والفساد فى الأرض تصح لوصف الشخص بالعدالة المذكورة ؟! فالصحيح فى الأمر أن يعامل الصحابة جرحاً وتعديلاً مثل غيرهم من التابعين وأتباعهم (لكنها السياسة !!) .

أما مرجعية الصحابى فى علم الفقه فعلى شقين : إما إجماعهم على حمل قديم ، أو تفرد بعضهم أو واحد منهم بالاجتهاد وإصدار الفتوى .. فالشق الأول يعنى تواتر هؤلاء (أى الذين عاصروا الرسول عليه الصلاة والسلام) على حفظ النص القرآنى وتفصيلات مجملاته من الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الجيل

الذى يليهم (أى ما عرف بجيل التابعين) ، وهلم جرا .. وهذا لا خلاف على الأخذ به إذ يستحيل تاريخياً وعلمياً تواطؤهم على الكذب أو النسيان أو الإهمال ، وهذا التواتر هو ما أطلقنا عليه مصطلح السيرة المتشرعية (٦) .

أما الشق الثانى وهو تفرد الصحابة أو واحد منهم بالاجتهاد فلا حجة فيه لأنه اجتهاد بشرى يخطىء ويصيب .. وفى ذلك يقول أبو حامد الغزالى فى كتابه « المستصفى من علم الأصول » فى معرض حديثه عن مرجعية الصحابة : « إن من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته عنه فلا حجة فى قوله ، فكيف يحتج بقولهم [أى الصحابة] مع جواز الخطأ ،وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة ، وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف ؟! **وكيف يختلف المعصومان** ؟ كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة ؟! فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد بل أوجبوا فى مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه » .

إن الاجتهـــاد يفتح لنا أبوابه لكى نفكر ، ولكى نعيد النظر مراجعين تراثنا ، ولكى ننقيه مما علق به من شوائب ؛ حتى لا يتوثن هذا التراث فيصبح يوماً ما أصناماً صماء تعبد من دون الله العظيم (٧) .

الهوامش

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة – الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ – دار إحياء التراث العربى – ج ١ – ص ٧ ، ٨ .

(٢) راجع موقفنا من « السنة » فى كتابنا « مفهوم السيرة فى أصول الفقه الإسلامي » ، وفيه ذكرنا أن جميع الأحاديث المنسوبة إلي الرسول عليه الصلاة والسلام ظنية الثبوت ، وبناء على هذا يحتمل وضعها على الرسول عليه الصلاة والسلام كما يحتمل صحة نسبتها إليه على السواء .

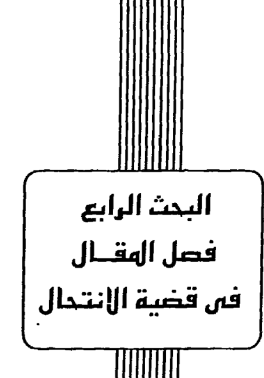
(٣) ج ١ – ص ٩ .

(٤) راجع هذه الأمثلة وغيرها الكثير فى مواضعها من الكتب الثلاثة المذكورة .

(٥) مجلة التوحيد – السنة الرابعة والعشرون – ذو القعدة ١٤١٦ هـ – ص ٣٦ .

(٦) راجع كتابنا « مفهوم السيرة فى أصول الفقه الإسلامى : رؤية جديدة تعالج الإشكاليات الكبرى فى علم أصول الفقه » – دار الفكر الإسلامى – القاهرة – ١٩٩٨م .

(٧) نشر هذا البحث مختصراً فى جريدة النبـــأ الوطنى بتاريخ ١٩٩٧/٨/١٧م (العدد ١٧٤/٦٣) تحت عنوان : « هل الجن والمنحرفون من صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) » ، وكان العنوان الأصلى : « الصحبة والصحابة فى ميزان العقلانية » .. ثم نشرت مختصرة أكثر فى جريدة الدستور بتاريخ ١٩٩٧/٨/٢٧م (العـــدد ٩٠) تحت عنوان : « ليس كل من رأى النبى صحابياً .. والصحابة ليسوا معصومين » ، وكان العنوان الأصلى : « ليس من رأى النبى صحابياً .. والصحابة ليسوا عدولاً » ، ومع تغييرهم للعنوان إلا أننى أعترف بخطأ عنوانى .



البحث الرابع
فصل المقـال
فى قضية الانتحال

بحث فى بيان القيم التى يشكلها الشعر المنسوب إلى عصر مـا قبل نزول القرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(٤)

فصل المثال فى قضية الانتحال

أثار كتاب الدكتور طه حسين « فى الأدب الجاهلى » ضجة هائلة عند صدوره استمرت إلى يومنا هذا .. فقد أعلن الحرب عليه أصحاب النظرة السلفية فى الأدب ، وعلى رأسهم فى الجيل الماضى مصطفى صادق الرافعى الذى كتب كتاباً فى الرد على الدكتور طه حسين وأسماه « تحت راية القرآن » .. وهذا الكتاب وإن كان كبير الحجم إلا أنه صغير - بل حقير - القيمة ،وقد ملأه الرافعى بالهجوم الضارى غير العفيف وغير العلمى على كتاب « فى الأدب الجاهلى » الجليل .

وقد كانت تلك الهجمة السوداء على الدكتور طه حسين بشخصه ، وعلى كتابه ، والتى قادها مصطفى صادق الرافعى لسبب بسيط عند كل عاقل وعظيم عند كل متشنج يتمثل فى أن الدكتور طه حسين رأى أن الشعر المنسوب إلى العصر الجاهلى نحل فى عصور ما بعد نزول القرآن العظيم ، وقدم الأدلة الساطعة والبراهين المقنعة التى تفلق الحجر وتنطق البقر .. فما كان من دعاة الظلام أن أقاموا الدنيا ولم يقعدوها ، وهاجموا الكتاب وكاتبه ، بل واتهموه فى دينه ، وشككوا فى عقيدته ، وهذه عادة المنافقين الذين

قد أفلسوا فى فضائل أعمالهم ، فما كان منهم إلا أن أظهروا الورع والتقوى للناس ، وشككوا فى نية الشرفاء وصوروهم على أنهم هم الذين يظهرون خلاف ما يبطنون .. ولهم - أى أهل النفاق - وسائل خبيثة لاستقطاب الذين لا حول لهم ولا قوة وضمهم إلى معسكرهم معسكر الفساد والانحراف .

والذى غفل عنه دعاة الظلام - وما زالوا غافلين عنه (**أو متغافلين**) - فى القضية قيد النقاش أن فكرة الشك فى صحة نسبة الشعر المعنى إلى الجاهليين أو من سبقوهم فكرة قديمة تناولها ابن سلام الجمحى فى كتابه « طبقات فحول الشعراء » . لكن الدكتور طه حسين أعاد عرضها وأطنب فى الحديث عنها حاشداً لها الحجج والبراهين الفائقة الإقناع .. لكنهم عموا (**أو تعاموا**) عن النظر إلى ما ساقه ابن سلام الجمحى ، وذلك لأنه - أى الجمحى - يعد من « السلف الصالح » !!

فقد كتب ابن سلام الجمحى - وهو من رجال القرن الثالث الهجرى - فى كتابه « طبقات فحول الشعراء » يقول : « وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل كل غثاء محمد بن إسحاق مولى آل مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف وكان من علماء الناس بالسير فنقل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول لا علم لى بالشعر إنما أوتى به فأحمله ولم يكن ذلك له عذراً فكتب فى السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط وأشعار النساء فضلاً عن أشعار

الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف من السنين والله يقول : « وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى » ، وقال فى عاد : « فهل ترى لهم من باقية » وقال : « وعاداً وثمود الذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله » [...] فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره [...] فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وأسفارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواية بَعْدُ فزادوا فى الأشعار [...] قدم البصرة [داود بن متمم بن نويرة] فى بعض ما يقدم له البدوى فى الجلب والميرة فنزل النحيب فأتيته أنا وابن نوح فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار ويصنعها لنا وإذا كلام دون كلام متمم وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهدها فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله .. وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد فى الأشعار » (طبقات الشعراء - مطبعة بريل فى مدينة ليدن - ١٩٩٩م - من ص (٤) إلى ص (١٤) ..) .

هكذا حكى لنا رجل من رجال القرن الثالث الهجرى هو ابن سلام الجمحى عن الرواة الكذابين الذين نحلوا الأشعار ونسبوها إلى الجاهليين ، وقد سبق ابن سلام الدكتور طه حسين بما يزيد عن الألف عام .. إلا أن الأول لا غبار عليه لأنه من السلف الصالح أما الآخر فالعيب كل العيب والكفر كل الكفر في أقواله وآرائه لأنه معاصر وحديث !!!

وليس الجاهليون فحسب هم الذين نحلت لهم الأشعار ، وإنما تجاوز الكذابون والوضاعون العصور تلو العصور حتى وصلوا إلى عهد أبى البشر آدم وأبنائه ، فنحلوا لهم الأشعار العربية .. يروى الثعالبى فى كتابه عن قصص الأنبياء المسمى « عرائس المجالس » عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : « لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر ، وتغيرت الأطعمة ، وتحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الأرض ، فقال آدم قد حدث فى الأرض حدث ، فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو أول شعر قيل :

تغيرت البـــلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبـر قبيـح
تغير كل ذى طعم ولـــون ... وقل بشاشة الوجه الصبيح »

وفى بعض الروايات زيادة على البيتين السابقين :

« وقابيـــل أذاق الموت هـا ... بيل فواحزنا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع ... وهابيـــل تضمنه الضريح

وجاءت شعلة ولها رنين لهابلها وقابلها يصيح

لقتل ابن النبى بغير جرم فقلبى عند قتلته جريح

وجاورنا لعين ليس يفنى عدو لا يموت فنستريح »

(قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس - الثعالبى - المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان - ص ٣٩ ، ٤٠) .

ولم يقتصر الانتحال علي أمة العرب فحسب بل تخطاه إلي أمم أخري عرفت نظم الشعر كما عرفت الكذب فى نسبته إلى غير أصحابه .. يقول الدكتور طه حسين : « ولسنا نريد أن نترك الموضوع الذى نحن بإزائه للبحث عما يمكن أن يكون من اتفاق أو افتراق بين العرب واليونان والرومان ؛ فنحن لم نكتب لهذا ، وإنما نريد أن نقول إن هذه الظاهرة الأدبية التى نحاول أن ندرسها فى هذا الكتاب والتى يجزع لها أنصار القديم جزعاً شديداً ، ليست مقصورة علي الأمة العربية ، وإنما تتجاوزها إلى غيرها من الأمم القديمة ، ولا سيما هاتين الأمتين الخالدتين . فلن تكون الأمة العربية أول أمة نحل فيها الشعر نحلاً وحمل على قدمائها كذباً وزوراً ، وإنما نحل الشعر فى الأمة اليونانية والأمة الرومانية من قبل وحمل على القدماء من شعرائهما ، وانخدع به الناس وآمنوا له ، ونشأت عن هذا الانخداع والإيمان سنة أدبية توارثها الناس مطمئنين إليها ؛ حتى كان العصر الحديث وحتى استطاع النقاد من أصحاب التاريخ والأدب واللغة والفلسفة أن يردوا الأشياء إلى

أصولها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً » (فى الأدب الجاهلى - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الخامسة عشرة - ص ١١٤) .

• ويرجع الدكتور طه حسين أسباب نحل الشعر فى كتابه « فى الأدب الجاهلى » إلى السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة .. ويفصل فى كل من هذه الموضوعات الخمسة الأسباب والدوافع والآليات التى كان ثمرتها ذلك الشعر المنسوب إلى الشعراء الجاهليين .

إننا حينما نقرأ دواوين الشعراء الذين جاءوا بعد نزول القرآن العظيم بفترة وجيزة أو بفترة طويلة نجد اختلافات حول نسبة بعض الأشعار إلى أصحاب الدواوين .. كذلك نعثر على اختلافات هائلة فى الألفاظ والجمل وفى تقديم بعض الأبيات على أخرى أو تأخيرها وفى سبب نظم القصيدة ، بل ولم يسلم من ذلك شعراء الجيل الماضى مثل أحمد شوقى الذى أصدر الدكتور محمد صبرى السوربونى مجلدين ضخمين أسماهما « الشوقيات المجهولة » ، وجمع فيهما الأشعار النادرة لأحمد شوقى ، والتى بعضها يشك فى صحة نسبتها إلى شوقى .. فإذا كان الانتحال والتحريف قد امتدت يده إلى العصر الحديث وما قبله من العصور الإسلامية ، فما بالك بالعصور الغابرة كالعصر الجاهلى وما سبقه من عصور إلى عصر آدم وحواء ؟!!

أما جوهر القضية والمتمثل فى « قيمة هذا الشعر » فيمكن تناوله من ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : القيمة الفنية :

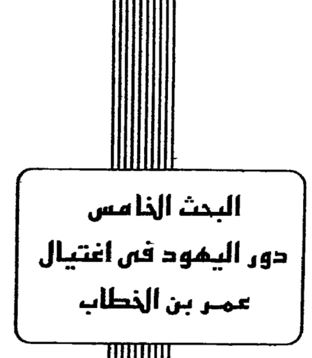
فسواء أكان هذا الشعر قد نظم فى العصر الجاهلى أو نظم فى العصر المحمدى أو العصر الخليفى أو العصر الأموى أو العصر العباسى ونسب إلى الشعراء الجاهليين ، وسواء أكانت أسماء هؤلاء الشعراء الجاهليين لأشخاص حقيقيين أم لأشخاص أسطوريين من نسج الخيال ، فالقيمة الفنية للأشعار - فحسب - لا تحتاج إلى معرفة اسم الشاعر أو عصره ، وإنما تحتاج إلى أدوات التحليل الفنى وآليات النقد الأدبى التى تعود كلها فى النهاية ذهاباً وإياباً إلى الذوق النفسى .

الجانب الثانى : القيمة المعرفية :

فإذا كانت خاضعة للتجريب فلا فرق - أيضاً - فى جاهلية عصر الأشعار أو مسلميتها ، والحكم النهائي فى هذه القضية يعود إلى مباديء العلم التجريبى .. أما إذا كانت غير خاضعة للتجريب ، وفى هذه الحالة لا تكون إلا قيمة تاريخية ، فالحكم حينئذ لا يخرج عن مبادىء النقد التاريخى .

الجانب الثالث : القيمة التفسيرية للقرآن :

وهذا أهم الجوانب الثلاثة ، وهو الذى قامت عليه المعارك الطاحنة ضد عقيدة الدكتور طه حسين وقصده وضميره وضد كتابه الجليل .. فالمفسرون والفقهاء في القديم وأنصارهم فى عصرنا الراهن وأدعياء التنوير كلهم يدعى تاريخية النص القرآنى ، ولذا فقد قالوا بنسخ القرآن بعضه لبعض ، بل ونسخ السنة للقرآن (!) ، بل ونسخ الفتوى تحت مسمى الإجماع للقرآن (!!) ، وقالوا بتقديم فكر العقل على حكم النص ، وتمثل هذا الأخير فى علم الكلام ، وقالوا بثواب التلاوة مع عدم عمل القارىء بما يتلو من آيات القرآن العظيم ، وقالوا بتفسير الأقوال المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والتي جميعها ظنى الثبوت للقرآن العظيم ، وكذلك تفسير الأشعار المنسوبة إلى العصر الجاهلى تفسيراً لغوياً للقرآن العظيم ، رغم أنها على الأرجح منحولة إلى العصر الجاهلى ، وإذا فرضنا صحتها - وهذا لا يقام عليه دليل - فإنها معرضة للتبديل والتحريف والتغيير ، وكما سبق وقررنا أن عصور ما بعد نزول القرآن حتى عصرنا الراهن شهدت حركات وضع للأشعار ، وشك فى صحة نسبتها إلى من نسبت إليهم ، بل ولم يسلم ديوان شاعر من الاختلافات فى المفردات والجمل والتراكيب للقصائد .. وبعد : فهل يفسر اليقين (القرآن) بالظن (الشعر المنسوب إلى العصر الجاهلى) ؟!!



البحث الخامس

دور اليهود فى اغتيال عمر بن الخطاب

لنشر الإسرائيليات بين المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥)

دور اليهود في اغتيال عمر بن الخطاب

كانت الدعوة إلى تحكيم النص القرآني - وحده - في كل أمور الدين والدنيا هي منهاج الخلفاء الراشدين من بعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ، الذين اختاروا عدم تدوين الأقوال المنسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .. « إذ كانوا يعلمون أنهم لا يستطيعون أن يؤدوا كل ما سمعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه الصحيح لأن الذاكرة لا يمكن أن تضبط كل ما تسمع ، وما تحفظه مما تسمعه لا يمكن أن يبقى فيها على أصله مهما تحرى الإنسان الضبط ، كذلك لم يؤمنوا من يسمع منهم أن يغير فيما سمعه بالزيادة أو النقص أو الغلط أو التبديل أو التحريف أو بغير ذلك » (١) .

فهذا أبو بكر الصديق الذى كان لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة من غيره .. وذاك عمر بن الخطاب الذى كان أشد احتياطياً وتثبيتاً .. وروى البخارى ومسلم أن أبا موسى الأشعرى جاء إلى مجلس من مجالس الأنصار مذعوراً ، فقال عمر : « ما منعك ؟ » ، فقال : « استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لى ، فرجعت .. قال

رسول الله : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع » .. » ، فقال عمـــر : « والله لتقيمن عليه بينـة وإلا أوجعتك » ، وفي رواية : « فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك ، أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا » .. هكذا كان تشدد عمر بن الخطاب في أمر ليس فيه حكم شرعي بحلال أو حرام ، فما بالك بما هو أعلي من ذلك إذا اتصلت الرواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام بأصل من أصول الإسلام ؟!!

وفي حادثة أخرى كان بطلها عمر بن الخطاب .. « لقد صعد عمر بن الخطاب المنبر وقال : «أيها الناس بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب ، فأحبها إلى أحسنها وأقومها ، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلاأتاني به فأرى رأيي فيه . فظن الناس الذين كتبوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه يريد أن ينظر بها ، فأتوه بكتبهم فجمعها وأحرقها وقال : أمنية كأمنية أهل الكتاب . ثم كتب إلى الأمصار ، من كان عنده من السنة شي فليتلفه » انظر ابن حزم - الأحكام ، ج ٢ ، ص ١٣٩ » (٢) .

وهكذا كان الطريق لاغتيال عمر بن الخطاب ؛ فدعاة التخريب من اليهود الذين يريدون أن يهدموا صرح الإسلام العظيم بروايات باطلة تنسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام لتلهى المسلمين عن كتاب الله الكريم القرآن العظيم وتوجههم إلى الأساطير والخرافات ، وقد رأوا أن الخليفة قائد المسلمين عمر بن الخطاب

يقف أمام أمنيتهم بالمرصاد فقرروا إزاحته عن طريقهم ليخلوا لهم الجو لبث تلك السموم .

لقد رسموا خطة لاغتياله وحددوا ساعة معينة في يوم معين لتنفيذ الجريمة النكراء ، وقرروا منفذاً لها أبا لؤلؤة المجوسى ، ومشرفاً لها كعب الأحبار .. وفي اختيار منفذ الجريمة مجوسياً نوع من إحكام الخطة حتى لا تظهر يهودية المؤامرة على السطح .

لقد أتى كعب الأحبـــار إلى عمر بن الخطـــاب ، وقال له : « يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام » ، فقال له عمر بن الخطاب : « وما يدريك ؟ فقال : « أجده في كتاب التوراة ؟ » ، فقال عمر بن الخطاب : « أتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ » .. قال : « اللهم لا ولكن أجد حليتك وصفتك ، وأنك قد فني أجلك » .. وفي اليوم التالي جاء كعب لعمر بن الخطاب ، وقال له : « بقي يومان » .. وفي اليوم الذي يليه قال له : « مضى يومان وبقي يوم ، وهي لك إلى صبيحتها » ، فلما أصبح عمر وخرج إلى الصلاة ، وبدأها خرج عليه أبو لؤلؤة وطعنه الطعنة التي أفضت إلى مقتله .

وكعب الأحبار المشرف على عملية الاغتيال الآثم ، وقد يكون صاحب فكرتها هو كعب بن ماتع الحميرى ، وهو من كبار أحبار اليهود .. أعلن إسلامه في خلافة عمر بن الخطاب ، وسكن المدينة المنورة بجوار عمر في خلافته ، وسافر إلى الشام مع الفلول التي سافرت إلى هناك في خلافة عثمان بن عفان ، وبعد اغتيال عمـــر

ابن الخطاب بفترة وجيزة .. وهناك – فى بلاد الشام – استقبله معاوية بن أبى سفيان واستضافه لينصبه مستشاراً له ، وجعله يقص فى المسجد الأقاصيص المختلفة والأساطير الكاذبة ، التى رواها عنه بحسن نية الصحابة والتابعون على أنها أحاديث نبوية شريفة (٣) .. ومن ذلك العهد بدأت الإسرائيليات فى التسرب إلى الإسلام ؛ فهكذا كانت عملية اغتيال عمر بن الخطاب ضمن خطة مدبرة من قبل اليهود لبث الإسرائيليات إلى الإسلام عن طريق « الحديث » .. الذى جعل الشهيد عمر بن الخطاب المعايير المتشددة لروايته ، فمقتل عمر بن الخطاب كان بداية عهد جديد لرواة الإسرائيليات لكى يبثوا سمومهم .

وفى هذا السياق كتب الدكتور أحمد صبحى منصور بحثاً خطيراً ننقل عنه بعض الفقرات الهامة مقدرين للوعى التاريخى والفكر الذكى الذى سجله (٤) .. يقول :

١ – أسلم أبو هريرة سنة ٧ هـ بعد غزوة خيبر ، مع قرب دياره من الإسلام ، وظل فى المدينة مع أهل الصفة الفقراء حتى شهر ذى القعدة سنة ٨ هـ أى ظل بالمدينة سنة وتسعة أشهر فحسب ثم أرسله النبى إلى البحرين مع واليها العلاء بن الحضرمى ، وظل بالبحرين إلي أن مات النبى ، وتولى أبو بكر الخلافة ثم وفاة أبى بكر وتولى عمر فعاد فى خلافة عمر إلى المدينة أى أنه لم يصحب النبى إلا ٢١ شهراً فحسب . [....]

٢ - انحاز أبو هريرة إلى عثمان والأمويين بعد مقتل عمـر ، (التفاصيل فى كتاب : محمود أبو رية : أبو هـريرة شيخ المضيرة : ١٠٢ ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٩) .

* وبسبب موقف عمر الحازم من كعب .. أدرك كعب أن عمر يقف جبلاً عاتياً أمام أمنياته فى تحقيق الفرقة بين المسلمين ، خصوصاً أن عمر ساس الناس بالعدل والحزم ، مما يستحيل معه أن يقوم عربى باغتياله . فلابد من وجود عناصر أجنبية تقوم بهذا الاغتيال . ومن السهل قتل عمر بنفس سهولة اللقاء به ، ولكن من الصعب ألا تكتشف المؤامرة ، لذلك لابد من العثور على شخص موتور يقتل الخليفة وينتحر ويدفن سره معه ، ويخرج كعب الأحبار من القضية وقد ازداد شهرة ومصداقية وقبولاً بين الناس . مما يمهد له استكمال حلقات التآمر بعد عمر .

* لقد ازداد حقد كعب الأحبار على عمر بعد أن قام عمر سنة ٢٠ هـ بإجلاء اليهود عن خيبر وعن نجران ، وبعد أن قام بتقسيم خيبر ووادى القرى على العرب المسلمين ، إلا أن حزم عمر كان له بالمرصاد ، وخشى كعب أن يضعه عمر فى دائرة الاشتباه ، فأسرع يحيك مؤامرته ليتخلص من عمر بطريقة الجريمة الكاملة .

ووجد كعب الأحبار ضالته فى أبى لؤلؤة المجوسى الذى كان شديد الحقد على عمر ، والذى كان يقابل الصغار من السبى فيبكى

على قومه ويتوعد عمر . وقرأ كعب الأحبار وجوه من حوله من غير العرب فعثر على الهرمزان الأمير الفارسى السابق الذى ادعى الإسلام بعد أن أخذ الأمان من عمر بالحيلة ، ثم هناك جفينة النصرانى الذى جاء إلى المدينة بإذن خاص عن طريق معرفته بسعد بن أبى وقاص . تماماً كما جاء أبو لؤلؤة المجوسى إلى المدينة بتصريح خاص عن طريق سيده المغيرة بن شعبة .. وقام كعب الأحبار بتحريك خيوط المؤامرة بنجاح ساحق ، ويمكن أن نتبين بعض هذا النجاح حين نتعمق فى فهم ما رصدته الروايات التاريخية من أحداث ظاهرية ونرتب هذه الروايات على الوجه التالى :

١ - يذكر الطبرى أن أبا لؤلؤة المجوسى قابل عمر فاشتكى له من سيده المغيرة من كثرة ما فرضه عليه من ضريبة فلم ير عمر مغالاة فيما فرضه المغيرة على أبى لؤلؤة . وانصرف أبو لؤلؤة وهو يتهدد عمر وسرعان ما يظهر كعب الأحبار وهو ينصح عمر بأن يتجهز للموت بعد ثلاثة أيام ، ويتعجب عمر حين يخبره كعب بأنه سيموت شهيداً . إذ إنه فى الحجاز وبعيداً عن مواطن القتال ، ولكن يؤكد له كعب بأنه قرأ ذلك فى التوراة ، وأنها وإن لم تذكر اسم عمر إلا أنها ذكرت صفته وموعد قتله .

٢ - وفى اليوم التالى - فيما يذكر الطبرى - يذهب كعب إلى عمر يقول له : « يا أمير المؤمنين ، ذهب يوم وبقى لك يومان » . ثم

جاء فى اليوم الثالث وقال له : « ذهب يومان وبقى لك يوم وليلة وهى لك إلى صبيحتها » . أى حدد له موعد الاغتيال . وفى نفس الموعد كان أبو لؤلؤة فى فجر اليوم التالى يقتل عمر بخنجره وهو يقيم الآذان لصلاة الفجر جماعة .

٣ — وحتى يتم كعب سخريته فإنه وقف يبكى على باب عمر حين كان عمر يحتضر ، ويقول كعب فى بكائه « لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخر أجله لأخره » ونظر إليه عمر وقال فأوعدني كعب ثلاثاً أعدها .. ولا شك أن القول ما قال لى كعب وما فى حذار الموت أنى لميت .. ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب » .

تاريخ الطبري ٤ — ٢٠٢ ، ٥٨ — ١٩٠ : ١٩٣ الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣ — ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢) وهكذا مات عمر وهو لا يعرف حقيقة كعب ، قاتله الحقيقى » .. انتهى كلام الدكتور أحمد صبحي منصور .

يقول المؤرخون إن القرائن كلها تدل على أن هذا القتل كان مؤامرة من جمعية سرية مجوسية . على رأسها الهرمزان الذى كان قد جيء به إلى المدينة أسيراً ، والهرمزان هو من أعظم قواد الفرس .. وأبو لؤلؤة طاعن عمر بن الخطاب كان من ضمن الأسرى ؛ فالاغتيال كان انتقاماً من عمر لما جره علي أولئك القوم من هزيمة لجيوشهم وتشريد لرجالهم .. إذن فالمؤرخون يوجهون

نظرهم إلى المجوس بأنهم أصحاب خطة الاغتيال ، وأنا أوجه نظري - مختلفاً معهم - إلى اليهود ؛ **فأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، والمغيرة - وهو للعلم أحد رجال معاوية بن أبي سفيان - قد يستجيب لمن يدفع له أكثر** ، واليهود قوم ماكرون قد يستخدمونه ليخفوا حقيقتهم وراءه ، ومن قرائننا على صحة هذه النظرة دخول كعب الأحبار للإسلام في خلافة عمر بن الخطاب بالذات ، وسكناه بالمدينة المنورة بجوار عمر ، ثم فراره إلى بلاد الشام بعد جريمة الاغتيال ، ولقاؤه بمعاوية بن أبي سفيان الذي كسب وده وعطفه حتي أصبح من كبار مستشاريه وأطلق له عنان رواية الأخبار بغير حدود .. ومنذ ذلك العهد ورواية الأحاديث أصبحت مفتوحة على مصراعيها حتى أنسى المسلمون قرآنهم العظيم والتفتوا إلى « الحديث » الذي فرعوا عنه العلوم .. وفي هذا الموضع لا يسعفني إلا أن أنقل كلمات الأستاذ جمال البنا من كتابه الرائع « السنة ودورها في الفقه الجديد » : « أما الدعوة إلى تحكيم القرآن كمعيار وحيد للحكم على صحة الأحاديث فهذا ما دعا إليه الرسول نفسه ، والخلفاء الراشدون والصحابة .. وليس فيه أي حساسية إلا للذين اتخذوا السنة صناعة يريدون أن يوسعوا فيها لأن في ذلك توسعة لصنعتهم وامتداداً لسلطتهم » (٥) .

الهوامش

(١) محمود أبو رية – أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث – دار المعارف – القاهرة – الطبعة السادسة – ١٩٩٤م – ص (٣٠) .

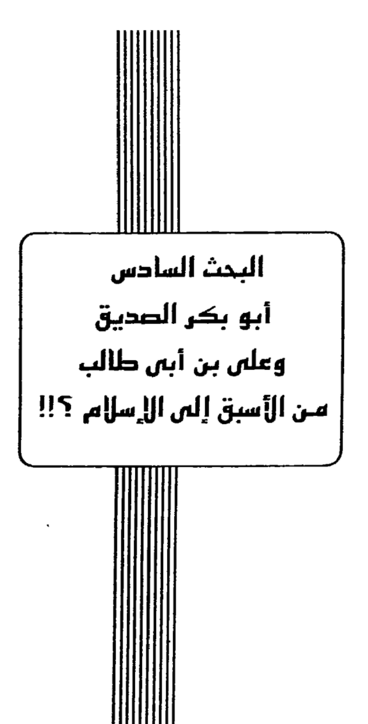
(٢) الدكتور سيد القمنى – الكذب على النبى « صلى الله عليه وسلم » ! – مجلة روز اليوسف – العدد (٣٦٩٦) – ١٠ : ١٦ أبريل ١٩٩٩م / ٢٤ : ٣٠ ذو الحجة ١٤١٩ هـ – ص (٢٧) .

(٣) لنا وقفة هنا مع علم الحديث .. فالمحدثون كانوا يلتقطون الحديث المنسوب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه سنده من الرواة ، وأحياناً كانت تلك الأسندة تنقص راوياً أو عدة رواه فى المنتصف ، وبناء على هذا كان الحديث يعد ضعيفاً .. وفي أحيان أخري كان السند ينقص من جهة الراوى القديم ، أى الصحابى ، حيث يروى الحديث متصلاً مباشرة بين التابعى والرسول عليه الصلاة والسلام .. وفي أحيان كان السند يتصل بالتابعى فالصحابى فصحابي آخر فالرسول عليه الصلاة والسلام .. وفى أحيان أخري كان يتصل بالتابعى فالصحابى فالتابعى فالصحابى فالرسول عليه الصلاة والسلام .. إذن كان هناك صحابة يروون الأحاديث عن صحابة آخرين ، وبعضهم كان يرويه عن تابعى عن صحابى ، وأحياناً كانت تذكر السلسلة كاملة وأحياناً كانت تذكر السلسلة – فى الحالة السالفة الذكر – ناقصة التابعى والصحابى أو واحداً منهما الذين جاءا فى المنتصف بين الصحابى البعيد والرسول عليه الصلاة والسلام .. ومن ثم أسقط المحدثون – بحسن نية والله أعلم – فى الحالة السالفة الذكر بعض رجال السلسلة السندية الذين قد يكون منهم كعب الأحبار !!

(٤) هذا البحث الذى بين يدى القارىء نشر – مع اختلاف – فى مقال بالعدد (١٠٩) من جريدة الدستور الصادر بتاريخ ١٩٩٨/١/٧م تحت عنوان : « اليهود هم الذين اغتالوا عمر لينفذوا خطتهم فى نشر الإسرائيليات » ، وكان

العنوان الأصلى للمقال « دور اليهود فى اغتيال عمر بن الخطاب » .. وفي ندوة برواق ابن خلدون بالمقطم عن «رؤية نقدية في أصول الفقه التراثى » للكاتب ، وأدارها الدكتور أحمد صبحى منصور بتاريخ ١٦/٢/١٩٩٩م ، ذكرت هذا المقال وروايته مختصراً ، وفى ٨/٣/١٩٩٩م نشر الدكتور أحمد صبحى منصور فى العدد (٢٠٨) من جريدة العربى بحثاً وردت فيه خلاصة فكرتنا ولكن مطولة ، وكان البحث لعنوان « الصهاينة فى القرآن الكريم (٢) »

(٥) جمال البنا – نحو فقه جديد / الجزء الثانى (السنة ودورها فى الفقه الجديد) – دار الفكر الإسلامى – القاهرة – ١٩٩٧م – ص (٧) .



البحث السادس

أبو بكر الصديق
وعلى بن أبى طالب
من الأسبق إلى الإسلام ؟!!

بسم الله الرحمن الرحيم

(٦)

أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب

أجمعت الجمهرة الغفيرة من المؤرخين على أن أبا بكر الصديق هو أول من أسلم من الرجال ، والسيدة خديجة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام هى أول من أسلم من النساء ، وعلي بن أبى طالب هو أول من أسلم من الصبيان ، وزيد بن حارثة هو أول من أسلم من الموالى .. لكنهم اختلفوا فيما بينهم حول أى من هؤلاء المذكورين ، هو السابق إلى الإسلام .

فهذا ابن هشام شيخ مؤرخى السيرة النبوية يذكر قصة إسلام خديجة بنت خويلد فيقول : « ثم كان أول ذكر من الناس آمن ، برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : على بن أبي طالب ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ».. ثم يذكر بعد ذلك زيد بن حارثة ثم أبا بكر الصديق ، ويؤيد نفس الرواية ابن قتيبة الدينورى فى كتابه « المعارف » ناقلاً عن ابن إسحق قوله : « كان أول من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به من أصحابه على بن أبى طالب وهوابن تسع سنين ثم زيد بن حارثة ثم أبو بكر بن أبى قحافة » .. ثم يذكر بسنده قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو

على منبر رسـول الله عليه الصـلاة والسـلام : « أنـا الصِّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر » .. وينقل بسنده قـول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « أنا أول من صلى مع رسـول الله صلى الله عليـه وسلم » .. وأخيراً ينقل بسنده مقولة أبى بكر الصديق فى الخلافة : « ومن أحق بها منى ألست أول من أسلم ؟ » .. فيـمـا سبق نقلنا مرويات لرجال من كبار المؤرخين ترجح سبق على بن أبى طالب كرم الله وجـهـه إلى الإسلام عن أبى بكر الصـديق ، والأول منهمـا كمـا ذكرنا هـو شيخ مؤرخى السيرة النبوية ، كمـا أن هذين المؤرخين من قـدامي المؤرخين حـيث إنهمـا توفيا فى القرن الثالث الهجرى .. فإذا ما عرجنا إلى القرن الخامس الهجرى وجدنا فقيهاً مؤرخاً هو ابن حزم يقول بعد ذكره لقصة إسلام خديجة : « ثم آمن من الصبيان علي ، ثم آمن من الرجال أبو بكر الصديق » .. ثم يقـول : « وقـيل : أول من آمن بعد خديجة أم المؤمنين : أبو بكر ثم على بن أبى طالب » .

فإذا ما انتقلنا إلى القرنين التـاسع والعاشر الهجريين وجدنا مؤلفاً كالإمام جلال الدين السيوطى يعرض ما يزيد على العشر من النصوص تختلف فيما بينها في شخصية الأسبق إلى الإسلام ، لكن المشاهد على الإمام السيوطى أنه يرجح وجهة النظر البكرية ، أى : التى ترى بأسبقية أبى بكر إلى الإسلام ، وذلك يتضح من غلبة النصوص التى عرضها والتى تثبت أسـبقية أبى بكر الصـديق ، ثم

عرضه بعدها لنصوص ليس لها علاقة بالموضوع تتحدث عن فضل أبى بكر الصديق فى تصديق رسول الله عليه الصلاة والسلام فى أمور الدين بصفة عامة .

ومن شواهد تحيز الإمام السيوطى فى كتابه « تاريخ الخلفاء » لوجهة النظر البكرية أنه يبدأ بعرض النصوص البكرية ثم يعقبها بالنصوص العلوية ، ويزيد من عدد النصوص الأولى على الثانية .. بل إنه ينقل الآراء المختلفة التى نقلها المؤرخ ابن عساكر فلا يجمعها فى سياق واحد ، بل يذكر ما يؤيد رأيه أولاً ثم ما يخالفه بعد ذلك دون تحقيق تاريخى ، ومن شواهد هذا التحيز أيضاً عدم تعرضه لروايات قدامى المؤرخين كابن هشام وابن قتيبة اللذَيْن رجحا وجهة النظر العلوية .

وبعد سياق الإمام السيوطى للنصوص عن شخصية الأسبق إلى الإسلام يعرض لنصوص فى فضل أبى بكر الصديق .. منها القول المنسوب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر » .. والقول المنسوب إليه عليه الصلاة والسلام : « ما كلمت فى الإسلام أحداً إلا أبا عَلَىَّ وراجعنى الكلام إلا ابن أبى قحافة ، فإنى لم أكلمه فى شىء ، إلا قبله واستقام عليه » .. وغيرها ، ومن الواضح أن الإمام السيوطى قد ساق تلك النصوص ليؤيد بها وجهة نظره .

والواضح من خلال العرض السابق للآراء المختلفة حول

شخصية الأسبق للإسلام أنه ترجح كثيراً وجهة النظر العلوية من خلال أحاديث ابن هشام وابن قتيبة لقدمهما ولقوة حجتهما .

لكن ما نريد أن نثبته فى هذا السياق هو أن السياسة قد لعبت دورها فى عملية إثبات الأسبق لدخول الإسلام ؛ فالحزب الشيعى يرى تأييد وجهة النظر العلوية زيادة فى فضله من جهة ، وحتى يكون هو الأحق بالخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام .. والحزب السنى يريد أن يؤيد وجهة النظر البكرية حتى يكون هو الأحق بالخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام .. لكن الأسقية للإسلام ليست دليلاً على الأحقية بالخلافة . ذلك أنه يتضح من الروايات أن إسلام أبى بكر الصديق وإسلام على بن أبى طالب قد جاءا فى فترة متقاربة جداً من الزمن ، ولا يهم حينئذ أيهما سبق الآخر ، فذلك يعد إلى أيهما رآه الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الآخر وبلغه بالوحى .. كما أن للخلافة مؤهلات فكرية وقيادية وبدنية لا تبنى على سرعة السبق إلى الإسلام .. وإلا فكيف تلى عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبى بكر الصديق وهو ليس من السابقين إلى الإسلام ؟!!

الهوامش

(١) نشر هذا البحث - مع اختلافات طفيفة - فى العدد (١٠٨) من جريدة الدستور الصادرة بتاريخ ١٩٩٧/١٢/٣١م .


البحث السابع
قراءة في كتاب
عبد الله بن سبأ
وأساطير أخرى
للسيد مرتضى العسكري

بسم الله الرحمن الرحيم

(٧)

عبد الله بن سبأ

تمطرنا المطابع يوماً بعد يوم بسيل جارف من الكتابات التى تتناول شتى العلوم الإسلامية ، لكن السواد الأعظم من هذه الكتابات لا تعدو إلا نقولاً ومختصرات وتحقيقات للكتب التراثية أو كتباً ليس همها إلا الدفاع عما أقر به قدماء السلف مهما كان ساذجاً أو بدائياً أو خاطئاً ؛ فتحول الأمر من دراسة وتحليل ونقد لما خلَّفه السلف إلى تقديس أو شبه تقديس لا لفكر السلف فحسب وإنما لشخصهم ، واعتبرت هذه الزمرة من مقدسى التراث القديم كل من انبرى على نقد هذا التراث وتمحيصه منحرفاً عن سواء السبيل أو خارجاً من الملة .

لكن من بين هذا الركام الهائل من المطبوعات الحديثة خفيفة الوزن نظفر بأعمال بذل فيها أصحابها جهداً بحثياً كبيراً في تقصى الحقائق وتمحيص ما خلَّفه القدماء .. من هذه الأعمال الجليلة كتاب المؤرخ الأستاذ السيد مرتضى العسكرى « عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى » (١) ، وهو آية من آيات النقد التاريخى فى فكرنا المعاصر ، إذ يكشف المؤلف على مدار ٩٣٠ صفحة حواها مجلدان من القطع الكبير عن أسطورة كبيرة ظلت لمئات السنين

موضع تصديق المسلمين خاصتهم قبل عامتهم .. وإذا بالمؤلف يحطم تلك الأسطورة قطعة قطعة حتى يساويها بالأرض .. هذه الأسطورة هى شخصية عبد الله بن سبأ ذلك اليهودي الذى « أظهر الإسلام فى عصر عثمان واندس بين المسلمين وأخذ يتنقل فى حواضرهم وعواصم بلادهم : الشام ، والكوفة ، والبصرة ، ومصر ، مبشراً بأن للنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجعة ، كما أن لعيسى بن مريم رجعة ، وأن علياً هو وصى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما كان لكل نبى وصى ، وأن علياً خاتم الأوصياء كما كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء ، وأن عثمان غاصب حق هذا الوصى وظالمه فيجب مناهضته لإرجاع الحق إلى أهله » (٢) .. وقد بث عبد الله بن سبأ « فى البلاد الإسلامية دعاته وأشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والطعن فى الأمراء فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين ، فيهم الصحابى الكبير والتابعى الصالح » (٣) ..

وهؤلاء الأتباع يطلق عليهم السبئيون ، وقد قاموا بإثارة الناس على عثمان بن عفان حتى حاصروه وهو فى داره ثم قتلوه ، كما أنهم كانوا السبب فى معركة الجمل التى وقعت « دون أن يكون لرؤساء الجيشين فيها رأى أو علم !! » (٤) .. وقد ساق المؤلف الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة على أسطورية شخصية عبد الله بن سبأ وما كان سبباً فيه من أحداث تاريخية .

أما واضع تلك الأسطورة وعشرات الأساطير الأخرى فهو مؤرخ اجتمع أهل الحديث على وصفه بالكذب واختلاق الروايات .. إنه سيف بن عمر الأُسيِّدى التميمى مؤلف كتابى « الفتوح الكبير والردة » و « الجمل ومسير عائشة وعلى » الذين نقل منهما الأكاذيب جميع من أتى بعد سيف بن عمر من المؤرخين .. قال عنه يحيى بن معين : « ضعيف الحديث فَلْسٌ خير منه » ، وأبو داود : « ليس بشىء ، كذاب » ، والنسائى « ضعيف متروك الحديث ليس بثقة ولا مأمون » ، وابن أبى حاتم : « متروك الحديث » ، وابن السكن وابن عدى : « ضعيف » ، وابن حبان : « يروى الموضوعات عن الأثبات .. » ، والحاكم : « متروك .. » (٥) .. ثم بعد هذه الإتهامات من أهل الحديث (٦) يأخذ عنه المؤرخين ويطنبون فى النقل من كتابيه .

فقد نهل من أكاذيبه المؤرخين : الطبرى والذهبى وابن عساكر وابن أبى بكر ، وعن هؤلاء الأربعة - وبخاصة الطبرى - نقل ابن الأثير وأبو الفداء وابن بدران وسعيد الأفغانى وابن كثير وابن خلدون ومحمد رشيد رضا وغياث الدين بن ميرخواند ووالده وحسن إبراهيم ومحمد فريد وجدى وأحمد أمين (٧) .

ويهدم المؤلف فى كتابه الضخم الأساطير التى اخترعها سيف بن عمر أسطورة تلو أخرى ، وأغلب تلك الأساطير تتصل بأسطورة عبد الله بن سبأ ، فيسوق الحدث التاريخى فى حديث

سيف بن عمر ثم يعقبه بنفس الحدث فى حديث غير سيف بن عمر ثم يخرج بنتيجة مفادها أن سيفاً ابتكر الأحداث من خياله ودونها على أنها من حقائق التاريخ ، وفى كل قضية يعرض المؤلف أقواله موثقة بأسانيدها ومصادرها أدق توثيق (٨) .. فتناول أحداثاً كبعث أسامة والسقيفة والردة وقصة مالك بن نويرة وقصة المغيرة بن شعبة ، وأيام من أيام العرب اخترعها سيف كيوم الأباقر ويوم أرمات ويوم أغواث ويوم عماس ويوم الجراثيم ، وهي أيام لم يتناولها أيٌ من الرواة غيره رغم أهمية أحداثها حسب تفاصيلها التى اخترعها من خياله ، وتحريف فى سنى الحوادث التاريخية ، وغيرها .

أما السبب فى ذيوع صيت روايات ذلك الكذاب فتعود إلى أنه « وضع تلك الأحاديث كما رغب المعجبون بها أن يكون التاريخ لا كما كان .. فقد وجد المعجبون بها من المسلمين ما رغبوا أن يسمعوا عن أمراء المسلمين من طبائع ملائكية وبطولات فذة وكرامات معجزة خارقة لنواميس الطبيعة ... وقد وجدوا فى تلك الأحاديث لما أُخذَ على الأمراء والولاة وذوى المكانة من أمور غير مستحسنة تعليلاً وبياناً يدفع عن أولئك الكرام كل نقد ... ولعل بعض المستشرقين أيضاً قد وجدوا فى أحاديث سيف ما رغبوا أن يسمعوه عن جيوش المسلمين الأولين من إسراف فى القتل وقسوة فى الحرب ... وجدوا فيها أن جميع المسلمين خارج الحرمين - مكة والمدينة - قد ارتدوا

عن دينهم بعد النبى ، وأنهم أرجعوا إلى الإسلام بحد السيف ، إذن فالإسلام قد انتشر بحد السيف وحده .. ووجدوا فيها أن يهودياً واحداً اسمه (ابن سبأ) استطاع أن يندس بين المسلمين ويغوى أصحاب النبى ومن تبعهم ، وأن يدخل فى عقائدهم ما ليس فى دينهم ، ويثير بعضهم على بعض ويوجههم إلى قتل الخليفة ، وهم فى كل ذلك مسيرون لمكر يهودى مجهول ... لعل بعض المستشرقين وجدوا فى أحاديث سيف وصف المسلمين هكذا فرغبوا فيها وبنوا أبحاثهم واستنتاجاتهم عليها ولم يبحثوا عن غيرها من الأخبار الصحاح » (٩) .

وهكذا تنهار أسطورة من أساطير التاريخ طالما تناولها المؤرخون والكُتّاب على أنها من البديهيات والمسلمات ، وهى فى الأصل من مفتريات راوية كذاب أراد لنفسه المصلحة الكبرى من كسب ود العامة واحترامهم ، والتقرب من السلطة القائمة فى عصره ومداهنتها (١٠) .

الهوامش

(١) صدر فى مجلدين كبيرين عن دار الزهراء – بيروت – ١٩٩١م .

(٢) السابق – ١/٣٥ .

(٣) السابق – ١/٣٥ ، ٣٦ .

(٤) السابق – ١/٣٧ .

(٥) راجع : السابق - ١/٧٦ ، ٧٧ .

(٦) مادام سيف بن عمر التميمى يكذب فى الحديث المروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام فلا حرج أن يكذب فى أحداث التاريخ الأدنى مكانة من الحديث النبوى .. وهذه النقطة لم يشر إليها المؤلف .

(٧) سبق الدكتور طه حسين فى كتابه « عثمان » المؤلفَ فى تكذيب روايات سيف بن عمر التميمى وعلى رأسها أسطورة عبد الله بن سبأ .

(٨) تحتل المسانيد وأسماء المصادرمكاناً واسعاً من الكتاب ، وذلك حتى يسد - تماماً - كل ثغرة يمكن أن ينفذ منها ناقد أو معترض .

(٩) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى - ١/٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .

(١٠) للمؤلف كتاب آخر فى حجم كتابه « عبد الله بن سبأ » يحمل عنوان « خمسون ومائة صحابى مختلق » .. عرض فيه لعشرات من الصحابة الوهميين الذين اختلقهم سيف بن عمر التميمى ، ونسب أصحاب البطولات الوهمية منهم إلى بنى تميم قومه وعشيرته ، فبات الأمر مكشوفاً مفضوحاً .



البحث الثامن

عذاب القبر

رؤية جديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

(٨)

عذاب القبر : رؤية جديدة

لماذا « عذاب » ؟! .. ولماذا « القبر » ؟! .. سؤالان يطرحان قضية شغلت بال الفكر الإسلامى كثيراً حتى طغت على ما سواها من أولويات فى تفكيرنا الحضارى ، وطغت بعض مفردات القضية على ما سواها من أولويات ؛ فالعذاب قبل النعيم !! .. والمصير فى القبر قبل المصير فى الآخرة !!

لقد كثر الحديث عن موضوع « عذاب القبر » وما يكتنف أحداثه من غموض لانتمائه إلى قضايا السمعيات ، ولطغيان الاعتبار له دون غيره من قضايا السمعيات ، فمنابر المساجد لا حديث لها إلا عنه ، والكتب المؤلفة فيه تعد بالمئات !!

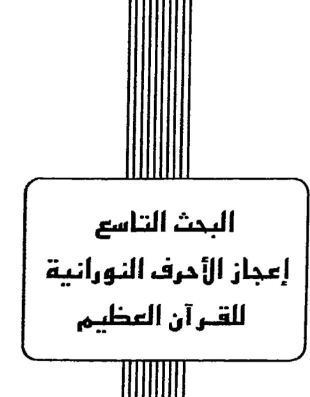
وقد ظل المسلمون قروناً طويلة يعتقدون بوجود هذا النوع من العقاب الإلهى رغم أنه لم يرد له ذكر فى كتاب الله العظيم .. إنما ذكر فى الروايات التي نحلها القصاص فى العصر الأموي المظلم ، ونسبت زوراً وبهتاناً إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفى كتابه « عذاب القبر والثعبان الأقرع » يوضح الدكتور أحمد صبحى منصور فى الفصل الرابع الأبعاد التاريخية لعذاب

القبر .. يقول : « إن القرآن يشير إلى أن اليهود عبدوا (عزير) زاعمين أنه ابن الله وأنهم بذلك يسيرون على منهج الكافرين السابقين (التوبة ٣٠) .. أوزوريس اسمه المصرى وباللغة المصرية القديمة عزير .. حرف العين يوجد فى اللغة المصرية القديمة ولا يوجد فى اللغة اليونانية ولذلك فإن الأوروبيين حين نطقوا (عزير) باللغة اليونانية القديمة قالوا (أوزيريس) أى (أوزير) وتضاف إليه (S) .. وأضافت اليهود إلى (عزير) تحريفاً آخر تحول به من إله الموتى عند المصريين القدماء إلى (ملك الموت) .. وأصبح اسمه (عزرائيل) .. وتوارثنا منهم الاعتقاد بأن « عزرائيل » هو ملك الموت ولقد ذكر القرآن أسماء بعض الملائكة مثل جبريل وميكال ومالك وتحدث عن الروح وملك الموت ولكن لم يذكر اسماً لملك الموت .. ولأن القرآن هو وحده المصدر الذى نستقى منه الغيبيات فإن « عزرائيل » المشار إليه على أنه ملك الموت لا أصل له فى الإسلام .. وقد عرفنا أصله الإسرائيلى المأخوذ من أوزير أو عزير أو أوزيريس .. وهذا يدلنا على أن المؤثرات الفرعونية ظلت حية فى مصر والشام والعراق بعد ظهور الأنبياء من بنى إسرائيل وإلى ما بعد ظهور خاتم النبيين عليهم السلام .. والعقائد المرتبطة بالموت وعذاب القبر وحسابه مأخوذة من أصول فرعونية ولكن تحولت لبعض التحوير الذى أشرنا إليه .. وقد أحيا القصاص تلك العقائد القديمة فى العصر الأموى وما تلاه » .. (عذاب القبر والثعبان الأقرع – د. أحمد صبحى منصور – ص ٤٤ ، ٤٥) .

أما ما لا يخطر ببال أحد أن شيخاً يعتلى مكانة عالية لدى العامة والخاصة على السواء كمحمد متولى الشعراوى ينكر ويهدم تلك الأسطورة الإسرائيلية ، ويحلل مصير الإنسان بعد الوفاة تحليلاً قرآنياً وعقلياً رائعاً ، ويوضح المعنى الحقيقى للآية الكريمة « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » (غافر - ٤٦) .. يقول الشيخ الشعراوي فى مجلة « حـــــواء » فى العـــدد (٣٢) الصادر بتاريخ (١٣/٢/١٩٨٢م) : « علينا قبل أن نشغل بحساب القبر أن أسأل عن حساب الآخرة .. هل هو موجود أم غير موجود ؟ إذا عرفت أن بالآخرة حساباً فأقول على أى شيء أحاسب فى الآخرة .. نجد أننا نحاسب إذا ما كنا أدينا ما أمرنا الله به أم لا .. قال تعالى : « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » .. ثم يقول : « ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .. إذن العرض فى غير قيام الساعة . وبذلك نجد أن الزمان مجزأ إلى ثلاثة أقسام : الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة ، وما بين الحياتين . ففى الحياة الدنيـــا تعمل ، وفى الحياة الآخرة تلقى جزاء عملك فى الدنيا . وإذا تساءلت كيف تكون الحياة الآخرة نقول إننا في حال حياتنا لنا حالان : حال يقظة وحال نوم . هل قانون اليقظة هو نفس قانون النوم ؟ نجد أنهما يختلفان رغم وجود الحياة .. إذن إذا قلنا إن الموت حياة أخرى ونظام آخر فلابد أن نصدق ذلك لأنك ترى وأنت نائم وعيناك مغمضة . فهناك وسائل إدراك غير العين تستطيع أن ترى بها

الأشـخـاص والألوان والأمـاكن ، فـإذا حـدث هذا لمجـرد أن مـادة الإنسـان وهى جسم قد خمد قليلاً ، فإذا قيل لنا إن فى القبر حياة أخرى عندما تنتهى الحياة ، فلابد أن تكون هذه الحياة أكثر شقاوة تزيد فيها وسائل الإدراك . عندما ترى رؤيا تحكيها فى وقت طويل رغم أن العلم أثبت أن أطول حلم لا يستغرق أكثـر من سبع ثوان . إذن فالزمن ملغى ، كذلك أنك تنام إلى جـانب شـخص يرى أنه بين أحبابه يضحك ويأكل ويمرح ، والآخر يرى أنه بين أعدائه يضربونه ، لا هذا يشعر بذاك ولا ذاك يشعر بهذا ، ولذا لفتنا النبى عليه السلاة والسلام إلى هذا فقال : « إنكم تموتون كما تنامـون ولتبعثن كما تستيقظون » فإذا اختلف قانون النوم عن قانون اليقظة فإن قانون الموت يختلف عن قانون الحياة .. إذن فلا يوجد عذاب بالقبر ولكن عرض ورؤية فـقط لموقف الإنسـان من عـذاب أو نعيـم » (مـجلة حواء - العدد (٣٢) - ١٢/٢/١٩٨٢م) .



البحث التاسع
إعجاز الأحرف النورانية
للقرآن العظيم

مقدمات تنتظر النتائج

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن علينا جمعه وقرآنه .. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ..
ثم إن علينا بيانه »

(القيامة : ١٧ – ١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى العربى الذى ما فرط فى تبليغ رسالة ربه العظيمة وكلماته العلا القرآن العظيم آخر الكتب السماوية ، ومعجزة الإسلام الباقية إلى يوم القيامة ، أما بعد .

فعندما شعرت أن بعض ما اكتشفت من وجوه إعجازية جديدة للقرآن العظيم أمانة فى عنقى يجب عليَّ الوفاء بتبليغها للناس سارعت بتسجيلها فى هذه الرسالة الصغيرة الحجم الجليلة الفائدة راجياً من الله الثواب فى الآخرة ، داعياً الله أن يوفقني فى نشرها للعالمين .

* * *

وموضوع الإعجاز العددى للقرآن من الموضوعات الشيقة التى ازداد البحث فيها في الآونة الأخيرة وما زالت تزداد وتتعقد إلي أن يكتشف الله جل جلاله فى يوم من الأيام عن معجزة تذهل البشرية وتجبرها علي الإذعان للقرآن العظيم والإيمان به والتسليم بما ورد فيه ومعرفة معانيه وأحكامه على وجه اليقين .

ولقد كان السبق فى ميدان هذه الدراسات للعلامة الأستاذ عبد الرزاق نوفل ... ثم توالت الاكتشافات من بعده .

ورسالتنا هذه « إعجاز الأحرف النورانية للقرآن العظيم »

تكشف عن زاوية جديدة من زوايا الإعجاز العددى للقرآن العظيم ؛ فإعجاز الأحرف النورانية فرع عن الإعجاز العددى .

كما شمل هذا الكتاب جديداً لم يطرق من قبل ألا وهو قيمة الأحرف بحساب الجسم ، فمن المعروف قديماً حساب الجمل حتى وفقنى الله بفضله العظيم فاكتشفت حساب الجسم للأحرف الهجائية وقيمة ذلك الحساب الإعجازية .

* * *

إن الإعجازات السابقة للقرآن البلاغى واللغوى والعلمى والتشريعى والتاريخى والبيانى وغيرها كان بعضها كالإعجاز العلمى قاصراً على بعض آى القرآن العظيم ولم يكن ليشمل جميع الآيات ، والبعض الآخر كالإعجاز البلاغى كان يشتمل كل آى القرآن العظيم ، إلا أنه قد فقد عنصر الربط بين الأجزاء بعضها ببعض ، حتى جاء الإعجاز العددى للقرآن العظيم فى عصر كفرت فيه البشرية من غير المؤمنين بكل شىء عدا لغة الأرقام لغة الحاسب الآلى فكشف حينئذ الله جل جلاله عن وجه جديد من وجوه إعجاز كتابه الكريم وهو الإعجاز العددى حتى لا يكون للناس حجة الكفر بالقرآن العظيم .

ولقد شمل هذا الإعجاز مساحة أوسع بكثير من المساحات التى تملكها أى نوع آخر من أنواع إعجاز القرآن ، ومازال يتسع

في مساحته وفي ارتفاع بنائه حتى سيشمل في وقت لا يعلمه إلا الله كل شيء وحينئذ يتحقق قوله تعالى : « ثم إن علينا بيانه » (القيامة : ١٩) .

* * *

وبعد .. فهذه الرسالة أتقدم بها لتكون جزءاً من مكتبة دراسات إعجاز القرآن العظيم ، وحجراً في قلعة الإسلام الحصينة التي لا قوة لها إلا بالنظر والتدبر في آيات الكتاب الكريم القرآن العظيم .

والله تعالى جل جلاله من وراء القصد .

ماجد صلاح الدين حسن

الجمعة ١٩٩٩/٧/٩م

القاهرة – مصر

البيان الأول : إعجاز القرآن العظيم

القرآن العظيم هو المعجزة التى بهث بها الله جل جلاله رسوله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة ، وهى معجزة مستمرة – فى كل مكان – منذ البعثة المحمدية إلى قيام الساعة .

وإعجاز القرآن العظيم متجدد ؛ فكل مدة من الزمن ليست طويلة يظهر مظهر إعجازى جديد ، وكل حقبة من الزمن يظهر نوع جديد من أنواع الإعجاز لهذا الكتاب العظيم ، وقد ظهر حتى الآن الإعجاز اللغوى والإعجاز البلاغى والإعجاز العلمى والإعجاز البيانى والإعجاز الفنى والإعجاز التكرارى والإعجاز الفكري والإعجاز التشريعى والإعجاز التاريخى والإعجاز العددى وغير ذلك من أنواع الإعجاز المذهل لكتاب الله الكريم .

هذا ، وقد ظهرت حركات هدامة على طول التاريخ ، وما زالت تظهر .. هذه الحركات تحاول التشكيك فى إعجاز القرآن العظيم ، فقد ظهر علم الكلام الذى أفسد الفكر الإسلامى بمقولاته النظرية وآرائه التى استمد غالبها من التراث الوثنى لليونان .

لقد ادعى رواد ذلك العلم المتهافت أنهم يستطيعون أن يصلوا إلى إثبات وجود الله بالأدلة العلمية والعقلية ، ونسوا – أو تناسوا –

فائدة الكتب المقدسة .. ونسوا - أيضا - أن الأدلة العلمية أو العقلية قد تُرَدُّ بأدلة أخرى علمية وعقلية ، والأخيرة يرد عليها بأدلة علمية أو عقلية .. وهكذا يستمر الجدل حول وجود الله إلى ما لا نهاية بحيث يتحول الإيمان بالله من اليقين إلى الشك بدلاً من تحوله من الشك إلى اليقين ، ثم يدَّعون - أى علماء الكلام - أن هناك أيضاً أدلة علمية أو عقلية على وجود النبوة ، وشأن هذه كشأن سابقتها من قصر القدرة العقلية للإنسان أمام المعجزة الإلهية ، وتستمر دائرة الجدل العقيم التى لا تنتهى ، وهى تسير فى طريقها لتنشر الشك فى وجود الله والكفر به .

لكننا إذا عكسنا الآية فبدلاً من أن نثبت بالأدلة العقلية والعلمية غير اليقينية وجود الله ثم نثبت وجود النبوة ثم نثبت صحة الكتب السماوية ، نفعل العكس فنبدأ من الكتاب السماوى ، وهو إن أثبتنا صحة ما ورد فيه بالإعجاز أثبتنا تلقائياً وجود النبوة ومن ثم وجود الله عز وجل .

وهكذا ساهم علم الكلام فى تحجيم دراسة الإعجاز القرآنى .. وكما ساهم ذلك العلم الفاسد فى ذلك التحجيم ساهمت أيضاً نظرية الصرفة فى تحجيم دراسة الإعجاز القرآنى .

وفى العصر الحديث شكك الماديون والقائلون بتاريخية أحكام ومعانى القرآن - أو من يطلق عليهم العلمانيون - فى إعجازه العظيم ، وبعضهم طالب بحصره فى الإعجاز البلاغى فقط .

وهكذا تستمر دائرة التشكيك .. ويستمر البحث في إعجاز القرآن العظيم متحدياً فلول الجاهلين الذين لا يريدون إلا الطعن فى كتاب الإسلام الأوحد القرآن العظيم .

البيان الثانى : الإعجاز العددى للقرآن العظيم

كان الرائد الأول لهذا النوع الجليل من إعجاز القرآن العظيم هو الأستاذ عبد الرزاق نوفل ؛ فقد سجل مجمل نتائجه واكتشافاته في كتابيه « معجزة الأرقام والترقيم فى القرآن الكريم » و « والإعجاز العددى للقرآن الكريم » .

لقد كانت اكتشافات الأستاذ عبد الرزاق نوفل شرارة البدء فى دراسات الإعجاز العددى للقرآن العظيم ، ومن بعده توالت كالمطر وما زالت تتوالى ؛ فلقد كانت هذه الاكتشافات فى أول أمرها - لدى الأستاذ عبد الرزاق نوفل - بسيطة ثم ما لبثت أن تعقدت وتنامت وشكلت شبكات من الأرقام التي يستحيل أن يكونها بشر مما يؤكد على صدق رسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

اكتشف الأستاذ عبد الرزاق نوفل أن لفظ الدنيا ورد فى القرآن (١١٥) مرة ، وكذلك لفظ الآخرة .

واكتشف أن لفظ الشيطان ورد (٦٨) مرة ، وكذلك ورد لفظ الملائكة .

واكتشف أن لفظ الحياة ومشتقاته ورد (١٤٥) مرة ، وكذلك لفظ الموت ومشتقاته .

واكتشف رحمة الله عليه أن لفظ النفع ومشتقاته ورد (٥٠) مرة ، وكذلك لفظ الفساد ومشتقاته .

كما اكتشف عشرات النماذج من عينة تلك الأمثلة .. إلا أنها قد اتسمت بالبساطة ، وذلك لأن الاكتشاف كان في أوائل عهده .

وفي أمريكا اكتشف الدكتور رشاد خليفة مظاهر مذهلة في الإعجاز العددي للقرآن العظيم ، إلا أن بعضها كان متعسفاً ، وبعضها احتوى على أخطاء .

وقد سجل اكتشافاته في كتبه : « قبس من الإعجاز القرآني : الإعجاز الحسابي في القرآن الكريم » و « الإعجاز العددي في القرآن الكريم » و « القرآن آخر الكتب السماوية » و « القرآن والحديث والإسلام » و « القرآن التمثيل المرئي للمعجزة » و « معجزة القرآن الكريم » و « القرآن العهد الأخير » و « الكمبيوتر يتحدث : رسالة الله إلى العالم » و « ونشرة حول العدد (١٩) » .. إلا أنه استغل – لضعف إيمان – هذه الاكتشافات مادياً وانتهى به الأمر إلى ادعاء النبوة ، ثم لقي مصرعه قتيلاً .

ثم توالت الاكتشافات .. فقد اكتشف محمد مصطفى صادق بعض إعجازات العدد (٧) ، واكتشف مراد الخولي بعض الوجوه

الأخرى للإعجاز العددى ، وقد سجل بعض الاكتشافات التى عثر عليها الباحثان السابقان الدكتور أحمد صبحى منصور فى مقدمة كتاب « إعادة قراءة القرآن » لجاك بيرك ، والتى حملت اسم « قراءة لقراءة خاطئة » .. (دار التديم للصحافة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٦م) .

ثم انتشرت هذه الدراسات وتعقدت ؛ فقد ظهر كتاب « معجزة القرآن العددية » لصدقى البيك ، و« دراسات فى مجالات كونية ونظرية » للدكتور على حلمى موسى ، و« أوائل السور فى القرآن الكريم » لعلى نصوح الطاهر ، و« إعجاز الرقم (١٩) فى القرآن الكريم : مقدمات تنتظر النتائج » لبسام نهاد جرار ، و« المنظومات العددية فى القرآن العظيم : برهان إحصائى فى إحكام البناء القرآنى » لسيادة اللواء مهندس أحمد عبد الوهاب ، ومهندس مصطفى أبو سيف بدران ، و« معجزة القرآن الجديدة : بنية الآيات والسور » لعمر النجدى ، و« من الإعجاز البلاغى والعددى للقرآن الكريم » للدكتور أبو زهراء النجدي ، و« معجزات الأرقام فى القرآن » لحسين سليم ، وغيرها الكثير مما لم يصل إلى حد علمنا أو وصلنا ولم نذكر الآن عنوانه أو اسم مؤلفه .

كذلك نشرت مجلة « روز اليوسف » (١٩٩٦/١٢/١٦م) دراسة بعنوان « معجزة الأرقام فى القرآن الكريم » لزياد داود السلوادى ، وكذلك نشرت جريدة الأخبار (أوائل ١٩٩٧م) مقالاً

بعنوان « سر الرقم (١٩) فى القرآن الكريم لعونى الحوفى ، كما عرض ملحق الأهرام (١٩٩٨/٥/٨م) لاكتشافات مصطفى بدران حول الإعجاز العددى للقرآن ، ونشر الدكتور حسين نصار سلسلة مقالات فى مجلة المصور (عام ١٩٩٨م) عن الإعجاز العددى للقرآن .

وقبل إتمام بياننا هذا عن « الإعجاز العددى للقرآن العظيم » نود أن نقول إن هذا النوع من الإعجاز القرآنى قد يبدو عشوائياً وغير منتظم ومشتت الجهود البحثية ، إلا أننا نؤكد أن هذا الإعجاز فى أوائل عهده ، وقد بدأ بسيطاً ثم ما لبث أن اتسم بالتركيب والتعقيد ، وهذا أمر بدهى ؛ فالاكتشافات فى ازدياد وتطور ، وقد بدأت ملامح تشابكها وترابطها فى بعض المؤلفات حول هذا النوع من الإعجاز ، فلم العجب إذن ولم الخشية من هذا الإعجاز ؟!

فإني أتوقع – والعلم لله – أن تستمر البحوث حول هذا الإعجاز وتنتشر وتتعقد أكثر وأكثر ، وستترابط فيما بينها أكثر وأكثر حتى تشكل فى يوم من الأيام نسيجاً متكاملاً من علاقة النص القرآنى بالأعداد يثبت بما لا يدع مجالاً للشك إلهية القرآن العظيم وأنه على ترتيبه الذى أراده الله وعلى كتابته التى أرادها الله ، كما أنه لم يُنْقَصْ حرف ولم يُزَدْ ، ولم يتبدل فيما بينه ، وأن معانيه التى أرادها الله راسخة فى نصه الكريم لا تبديل فيها ولا تحريف .

البيان الثالث : الأحرف النورانية والقيم العددية

الأحرف الهجائية العربية عددها ثمانية وعشرون حرفاً ، هى : (أ ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ) ، نصفها - أى أربعة عشر منها - أحرف نورانية ، هى (أ هـ ح ط ى ك ل م ن س ع ص ق ر) .

وقد سميت نورانية فى التراث لأنها تمثل مجموع الأحرف المقطعة الواردة فى أوائل بعض سور القرآن العظيم ، وسواء اختلفنا أو اتفقنا فى صحة هذه التسمية ، إلا أننا سنأخذ بها لدورانها على الألسنة، واكتسابها بذلك صفة الاصطلاح .

أما القيم العددية ، فهناك عدة تقسيمات لها ؛ فقد عرف القدماء حساب الجمل وهو عبارة عن قيمة عددية معينة لكل حرف من حروف الهجاء تزيد بمقدار معين (انظر الملحق الأول) .. وهناك القيمة الجسمية ، وهى عبارة الترتيب الرقمى للأحرف (انظر الملحق الأول) .

كما أن هناك عدة تقسيمات لهذه الأحرف عرفها القدماء (انظر الملحقين الثانى والثالث) .

وهذه القيم العددية وتلك التقسيمات التى قد تبدو غريبة لمن لم يدرسها من قبل قد وردت كثيراً فى كتب التصوف ، لكنها فى

الأصل مـأخـوذة عن قـدمـاء العـصـور الغـابرة ،إلا أن بعض غـلاة المتصوفة طوروها فادعوا أن للحروف أسراراً يستطيع بها خاصتهم أن يكتشفوا الأسرار ويطلعوا علي الغيوب تعالى الله عما يدعون علواً كبيراً .

البيان الرابع : إعجاز الأحرف النورانية للقرآن العظيم

١ - اكتشافات قديمة :

تقسم الحروف الهجائية إلى حروف مهموسة وحروف مجهورة ؛ فنصف الحروف المهموسة حروف نورانية (س ك ح هـ ص) ؛ ونصف الحروف المجهورة نورانية (أ ط ى ل م ن ع ق ر) .

كذلك تقسم الحروف الهجائية إلى مستعلية ومنخفضة ؛ فنصف الحروف المستعلية نورانية (ق ص ط) ، ونصف الحروف المنخفضة نورانية (أ ل م ر ك هـ ى ع س ح ن) .

كذلك تقسم الحروف الهجائية إلى حلقية وغير حلقية ؛ فنصف الحلقية نورانية (هـ ح ع) ، ونصف غير الحلقية نورانية (ن ق ص ل م ى س ك ط ر أ) .

كذلك تقسم إلى شديدة وغير شديدة ؛ فنصف الشديدة

نورانية (أ ك ق ط) ، ونصف غير الشديدة نورانية (هـ ح ى ل م ن س ع ص ر) .

وأخيراً تقسم إلى مطبقة وغير مطبقة ؛ فنصف المطبقة نورانية (ط ص) ، ونصف غير المطبقة نورانية (ر س ع ق ك ل م ن هـ ى) .. راجع : « الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : دراسة قرآنية لغوية وبيانية - د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٧م » .

واكتشف الدكتور رشاد خليفة بعض أسرار الأحرف النورانية المتعلقة بالرقم (١٩) فى القرآن العظيم ودوّنها في كتبه المتعددة .

كذلك تعددت الاكتشافات الإعجازية المتعلقة بالأحرف النورانية .

٢- اكتشافاتنا :

بفضل الله جل جلاله وحده بلا شريك استطعنا أن نكتشف بعض مظاهر إعجاز الأحرف النورانية القليلة .. نرجو من الله أن ننال عليها ثواباً من لدنه .. وهى كالتالي :

الاكتشاف الأول

ولنا قبل ذكره ملاحظتان هامتان :

الملاحظة الأولى : العدد (١٩) له خاصية إعجازية معينة متعلقة بالمفردات (أى : الحروف المفردة) ، وهو متعلق بحساب الجسم .

الملاحظة الثانية : العدد (٧) له خاصية إعجازية معينة متعلقة بالمركبات (أى : الكلمات) ، وهو متعلق بحساب الجمل .

وقد اكتشفنا والله أعلم أن :

١ - مجموع قيم الأحرف النورانية الأربعة عشر بحساب الجسم تساوى (١٧١) ، و (١٧١) تقبل القسمة على (١٩) وتساوى (٩) .. (راجع الملحق الأول) .

ومجموع أرقام (١٧١) ، يساوى (٩) ، أى :
(١) + (٧) + (١) = (٩) .

٢ - مجموع قيم الأحرف النورانية الأربعة عشر بحساب الجمل تساوى (٦٩٣) ، و (٦٩٣) تقبل القسمة على (٧) وتساوى (٩٩) .. (راجع الملحق الأول) .

ومجموع أرقام (٦٩٣) ، يساوى (٩٩) ، أى :
(٣) + (٩) + (٦) = (٩٩) .

الاكتشاف الثانى

١ - الأحرف الهجائية الحارة عددها (١٤) سواء أكانت يابسة أم رطبة ، منها سبعة نورانيـة ، هى : (أ هـ ط م ك س ق) .. (راجع الملحق الثانى) .

٢ - الأحرف الهجائية الباردة عددها (١٤) سواء أكانت يابسة أم رطبة ، منها سبعة نورانية ، هى : (ى ن ص د ح ل ع) .. (راجع الملحق الثانى) .

٣ - الأحرف الهجائية اليابسة عددها (١٤) سواء أكانت حارة أم باردة ، منها سبعة نورانية ، هى : (أ هـ ط م ى ن ص) .. (راجع الملحق الثانى) .

٤ - الأحرف الهجائية الرطبة عددها (١٤) سواء أكانت حارة أم باردة ، منها سبعة نورانية ، هى : (ك س ق ح ل ع ر) .. إذن هناك توازن فى أعداد هذه الأحرف .. (راجع الملحق الثانى .

٥ - الأحرف اليابسة (أ هـ ط م ى ن ص) + الإحرف الرطبة (ك س ق ح ل ع ر) بحساب الجسم تساوى (١٧١) .. (راجع الملحقان الأول والثانى) .

٦ - الأحرف الحارة (أ هـ ط م ك س ق) + الأحرف الباردة (ى ن ص ح ل ع ر) بحساب الجسم تساوى (١٧١) .. (راجع الملحقان الأول والثانى) .

إذن هناك توازن فى قيم هذه الأحرف بحساب الجسم ؛
فاليابس + الرطب = الحار + البارد .

٧ - الأحرف اليابسة + الأحرف الرطبة بحساب الجمل تساوى (٦٩٣) .. (راجع الملحقان الأول والثانى) .

٨ - الأحرف الحارة + الأحرف الباردة بحساب الجمل تساوى (٦٩٣) .. (راجع الملحقان الأول والثانى) .

إذن هناك توازن فى قيم هذه الأحرف بحساب الجمل؛
فاليابس + الرطب = الحار + البارد .

٩ - إذا طبقنا هذه التوازيات على الأحرف غير النورانية فإنها ستضطرب ولن يحدث هذا التوازن المذهل .

الاكتشاف الثالث

* رجاء مراجعة الملحق الثالث .

١ - عدد الأحرف الهجائية فى (عشرة أفلاك) = (١٩) .

٢ - قيم ما حوت (سبعة أفلاك + ثمانية أفلاك + تسعة أفلاك) من الأحرف النورانية بحساب الجسم = (٧٦) ، و (٧٦) تقبل القسمة على (١٩) وتساوى (٤) .

٣ - قيم ما حوت (عشرة أفلاك) من الأحرف النورانية بحساب

الجسم = (٩٥) ، وهى أيضاً تقبل القسمة على (١٩) وتساوى (٥) .

٤ - قيم ما حوت (سلعة أفلاك + ثمانية أفلاك + تسعة أفلاك) من الأحرف النورانية بحساب الجمل = (٣٠١) ، و (٣٠١) تقبل القسمة على (٧) وتساوى (٤٣) .. والرقم (٣٠١) مجموعه يساوى (٤) ، أى : (١) + (٠) + (٣) = (٤) ، وهو نفسه ناتج قسمة (٧٦) على (١٩) طبقاً لما جاء بالبند الثانى من الاكتشافات الذى نحن بصدده (الاكتشاف الثالث) .

٥ - قيم ما حوت (عشرة أفلاك) من الأحرف النورانية بحساب الجمل = (٣٩٢) ، و (٣٩٢) تقبل القسمة على (٧) وتساوى (٥٦) .. والرقم مجموعه يساوى (٥) ، أى : (٢) + (٩) + (٣) = (١٤) ، والرقم (١٤) مجموعه ،أى : (٤) + (١) يساوى (٥) ، وهو ناتج قسمة (٩٥) على (١٩) طبقاً لماء جاء بالبند الثالث من الاكتشاف الذى نحن بصدده (الاكتشاف الثالث) .

الاكتشاف الرابع

١ - الأحرف النورانية المهموسة (س ك ح هـ ص) يساوى مجموعها بحساب الجسم (٥٧) ، وهو نصف عدد سور القرآن العظيم ، و (٥٧) تقبل القسمة على (١٩) ، وتساوى (٣) .

٢ - الأحرف النورانية المجهورة (أ ط ى ل م ن ع ق ر) يساوى مجموعها بحساب الجسم (١١٤) ، وهو عدد سور القرآن العظيم ، و (١١٤) تقبل القسمة على (١٩) وتساوى (٦) .

• الاكتشاف الخامس

وفيه نضيف حساباً جديداً - بصفة مؤقتة - ونسميه حساب المرتبة ، وبه نكتشف توازنات جديدة للأحرف النورانية .

نعتبر أن قيمة الحرف طبقاً لحساب المرتبة هى رقم مرتبته (طبقاً لما هو موضح بالملحق الثالث) ؛ فالألف يقع فى مرتبة (سبعة أفلاك) ؛ إذن نعطيه قيمة حسابية مقدارها (٧) بحساب المرتبة .. والهاء يقع فى مرتبة (عشرة أفلاك) ؛ إذن نعطيه قيمة حسابية مقدارها (١٠) بحساب المرتبة ، وهكذا .

١ - مجموع الأحرف اليابسة + مجموع الأحرف الرطبة بحساب المرتبة يساوى (١٢٨) .

٢ - كذلك مجموع الأحرف الحارة + مجموع الأحرف الباردة بحساب المرتبة يساوى (١٢٨) .

٣ - نستطيع أن نقسم جدول العناصر (الملحق الثانى) إلى أعلى سبعة أحرف ، وأسفل سبعة أحرف ، وبذلك سيقع أول سبعة أحرف فى المراتب والدرج والدقائق ، والحروف هى : (أ هـ

ح ط ى ك ل) ، وسيقع ثانى سبعة أحرف فى الثوانى والثوالث ، والحروف هى : (م ن س ع ص ق ر) .. وقيم السبعة أحرف الأولى بحساب المرتبة يساوى (٦٤) .

٤ - كذلك قيم السبعة أحرف الثانية بحساب المرتبة يساوى (٦٤) .

٥ - الرقم (٦٤) الوارد فى البندين الثالث والرابع هو نصف الرقم (١٢٨) الوارد فى البندين الأول والثانى .

الاكتشاف السادس

١ - الأحرف النورانية المطبقة (ط ص) يساوى مجموعها بحساب الجسم (٢٧) ، ومجموع الرقم (٢٧) يساوى (٩) ، أى : (٧) + (٢) = (٩) .

وحين نقسم (٢٧) على (٩) فسيكون الناتج (٣) .

٢ - الأحرف النورانية غير المطبقة (ر س ع ق ك ل م ن هـ ى) يساوى مجموعها بحساب الجسم (١٤٤) ، ومجموع الرقم (١٤٤) يساوى (٩) ، أى : (٤) + (٤) + (١) = (٩) .
وحين نقسم (١٤٤) على (٩) فسيكون الناتج (١٦) .

٣ - إذن مجموع ناتج البند الأول + مجموع ناتج البند الثانى = (١٩) .

الاكتشاف السابع

١ - مجموع الأحرف النورانية الواردة على هيئة المركبات المقطعة (الم ، كهيعص ، يس ، ص ، حم ....) فى أوائل السور يساوى (٧٦) حرفاً ، و (٧٦) تقبل القسمة على (١٩) ، والناتج يساوى (٤) .

٢ - الأحرف المقطعة التى وردت فى آيات مستقلة ولم ترد فى جزء من آية جاءت فى (١٩) سورة من سور القرآن العظيم ، وهذه السور هى : البقرة وآل عمران والأعراف ومريم وطه والشعراء والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة ويس وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

خاتمة

هذا ما وفقنا الله إلى اكتشافه بعظيم منه وكرمه ، وسنواصل البحث داعين الله أن يكشف لنا عن مزيد من المظاهر الإعجازية للكتاب الكريم القرآن العظيم .

وإننا ندعو القارىء أن يكون إيجابياً في قراءته ، فلا يكتفى بالاطلاع والشعور بالدهشة فحسب ، وإنما يمسك بالقران ويحاول أن يكشف مزيداً من أسراره التى لم نوفق فى اكتشافها .

هذا .. والله من وراء القصد ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

ماجد صلاح الدين حسن



الملاحق

الملحق الأول

الحرف	حساب الجسم	حساب الجمل	النوراني
أ	١	١	*
ب	٢	٢	
ج	٣	٣	
د	٤	٤	
هـ	٥	٥	*
و	٦	٦	
ز	٧	٧	
ح	٨	٨	*
ط	٩	٩	*
ى	١٠	١٠	*
ك	١١	٢٠	*
ل	١٢	٣٠	*
م	١٣	٤٠	*
ن	١٤	٥٠	*
س	١٥	٦٠	*
ع	١٦	٧٠	*
ف	١٧	٨٠	
ص	١٨	٩٠	*
ق	١٩	١٠٠	*
ر	٢٠	٢٠٠	*
ش	٢١	٣٠٠	
ت	٢٢	٤٠٠	
ث	٢٣	٥٠٠	
خ	٢٤	٦٠٠	
ذ	٢٥	٧٠٠	
ض	٢٦	٨٠٠	
ظ	٢٧	٩٠٠	
غ	٢٨	١٠٠٠	

الملحق الثانى

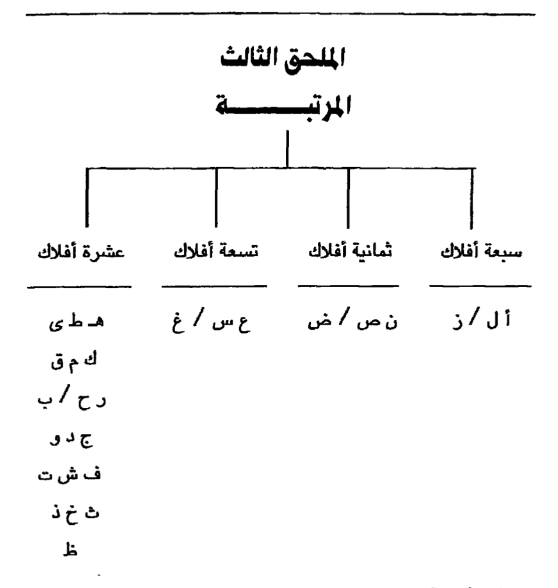
عناصر	نار	تراب	هواء	ماء
مراتب	أ	ب	ج	د
درج	هـ	و	ز	ح
دقائق	ط	ي	ك	ل
ثوانى	م	ن	س	ع
ثوالث	ف	ص	ق	ر
روابع	ش	ت	ث	خ
خوامس	ذ	ض	ظ	غ
طبائع	حار يابس	بارد يابس	حار رطب	بارد رطب

* ملاحظـــــة :

كتبنا الأحرف النورانية بالخط الثقيل

الملحق الثالث

المرتبـــــة



* ملاحظـــــة :

وضعنا الأحرف النورانية قبل علامة (/) ، أما ما بعدها فهو غير نورانى .

فهرس الكتاب

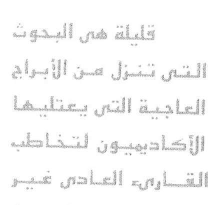
الموضـــــــوع	الصفحة

رقم الإيـداع بدار الكتب ١٣٦٩٣ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-5378-29-X

دار الفكر الإسلامى
١٩٥ شارع الجيش - ١١٢٧١
تليفون وفاكس ٥٩٣٦٤٩٤ - القاهرة

هذا الكتاب





قليلة هى البحوث التى تنزل من الأبراج العاجية التى يعتليها الأكاديميون لتخاطب القارئ العادى غير المتخصص .. وفى هذه الباقة من البحوث التنويرية يعلن المؤلف عن رغبته الأصيلة فى الإصلاح بتنوير العقول وتفتيحها .. ويتصدر هذه الباقة البحث الأم فى هذا الكتاب والذى يهدم قلعة الأكاديمية من أساسها ليحل محلها مجتمعاً متحاوراً يحل مشكلاته بالتفاهم والتناقض لا بالتنابذ والتراشق .

المؤلف

الثمن ٥٠٠

